مجلة كلية الآداب

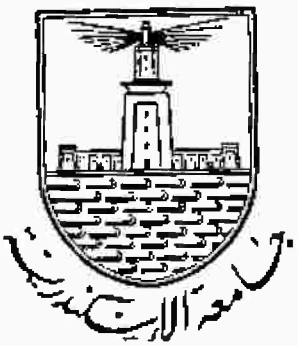

المجلد الثالث عشر

١٩٥٩

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية بالشاطبي ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية إلى

الدكتور جمال الدين الشيال سكرتير التحرير

مطبعة جامعة الإسكندرية

١٩٥٩

الحركة الأدبية

فى الاسكندرية الحديثة

بقلم عبد المحسن عالمف سلوم

لا جناح علينا أن ندرس الأدب السكندرى مستقلا بذاته عن التيار الأدبى العام فى مصر ، فللاسكندرية منذ عصور موغلة فى التاريخ شخصية مستقلة كونها مركزها الجغرافى بين الشرق والغرب . فهى تولى وجهها شطر أوربا وتمد ذراعيها الى شرق العالم العربى وغربه فتتلقى من هذه المنابع جميعا قطرات من الثقافات المتباينة المختلفة ، وتمزج بينها وتنتج لنا نتاجا جديدا . وفيها استقرت أشتات من الشعوب المختلفة وخاصة شعوب البحر الأبيض ففيها فرنسيون وايطاليون ، وفيها يونانيون وعرب من شمال افريقية وعرب من الجزيرة وفدوا ابان الحكم العربى أو بعده . فالاسكندرية فى تاريخها وشعوبها اذن تمثل لنا تيار الحضارة منذ عهده القديم حتى يومنا هذا ؛ فهى تمثل لنا الحضارة المصرية القديمة واتصالها بالحضارة اليونانية ثم انتفاعها بالحضارة الرومانية والحضارة العربية شرقها وغربها ثم الحضارة الأوربية الحديثة وحركة البعث فى مصر والشرق العربى جميعا . وقد لعبت الاسكندرية دورا هاما متميزا فى كل هذه العصور ، ولعل أهم دور لعبته فى تاريخها هو دور الحضارة اليونانية الذى ظل أربعة قرون تميزت فيه فلسفة خاصة وأدب خاص يشغل رجال العلم الى يومنا هذا .

واذا كان هذا مبررا كافيا لأن ندرس حركة الأدب فى الاسكندرية مستقلة فان هناك مبررا منهجيا علميا أيضا يفرض علينا تفتيت البيئات الكبرى ودراستها وحدات صغيرة مستقلة . فان ذلك أحرى أن يكون أكثر دقة وأجدر أن يستقصى المسائل ويكشف عن صغيرها وكبيرها . وما نحن بمبتدعى هذا المنهج ، ولكن لنا أسوة فى أوربا فقد عرفته أوربا منذ نهاية

القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر عند ما تنبه رجال الأدب الى الألوان المختلفة التى تميز الآداب المحلية واللغات المحلية فدرسوها ، وتنبه رجال الاجتماع الى العادات المحلية وطقوسها فسجلوها وتتبعوها وبهذا اكتشف الانسان منابع جديدة يستمد منها أفكارا وتعبيرات جديدة غيرت من وجهة نظره الى الحياة ومن احساسه بها ، ورأى فيها أنواعا من الجمال كانت لا تمتد حواسه اليها من قبل وكان يعرض عنها ايمانا بالثقافة القديمة التى كان يقدسها ويقبل عليها . لا جرم كانت الحركة الرومانتيكية وهى أكبر ثورة فكرية عرفتها الانسانية نتاج هذا الاحساس بما هو محلى .

لا جناح علينا اذن ان ندرس الأدب فى الاسكندرية وحدة مستقلة تشارك فى التيار الأدبى العام الذى يجرى فى مصر جميعا والعالم العربى . ولن أحاول فى هذا البحث أن أتتبع الظواهر العامة التى ميزت انتاج الاسكندرية فى تاريخها الطويل فهذا مطلب يقل دونه جهد الرجال . فالشقة بعيدة والطريق مختلف المسالك لو غيرت فى أحدها قدما تعثرت فى الآخر . ولكنى سأقنع بالقليل وأرتضى الحدود الضيقة التى يفرضها عنوان البحث . وسيكون النصف الثانى من القرن التاسع عشر نقطة البداية التى نأخذ الطريق منها . ولكن لكل شىء مقدمات فالنهار مقدمته الفجر والليل مقدمته الغسق والقطر أول الطوفان والنار من مستصغر الشرر . ومقدمة هذه الحركة هى مقدمة الحركة فى مصر والشرق العربى جميعا ، فاذا كانت الحملة الفرنسية مظهرا من مظاهر الجشع الأوربى الذى سيطر على هذه القارة منذ القرن الثامن عشر ، ومظهرا من مظاهر تنازع السيطرة على العالم بين القوى الكبرى فى ذلك الوقت والرغبة فى استعباد الشعوب اقتصاديا واستغلالها فقد كانت أيضا شرارة أطلقتها أوربا لكى تشعل دون وعى منها نارا لا يشتد أوارها الا بعد حين ولا يكون لها ضرام الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . فقد عرف العربى لأول مرة أن هذا الاستقرار والهدوء والانتظام الذى كان قد تعوده — على ما فيه من بؤس وشقاء — شئ لا يدوم ، وأن هذه القوى التركية والمملوكية التى استعبدته آمادا

كان لا يذكر بدايتها – فقد نسيها فيما أنسى من الأشياء – قوى بالية تخرة لا تلبث أن تنهار أمام القوى الجديدة التى تصطرع فى أوربا ، وأن هذا البنيان الامبراطورى الضخم الذى كان يرتد بصره حسيرا دونه بنيان قد نخر فيه السوس لا تلبث أن تتقوض دعائمه أمام الهزات الأولى من العالم الجديد . واكتشف ان هذه القوة أضعف ضعفا من أن ترد عن نفسها غائلة هذا العدوان فهى محتاجة الى معاونته هو ومساعدته هو لكى يستقيم أمرها كما كان من قبل . وهنا أخذت الثقة تتسرب الى نفسه وأخذ يحس أن له شخصية مستقلة لها تاريخ طويل مجيد يختلف عن تاريخ هذه القوة وبابها وان كان يشترك معها فى الدين والفقه . اكتشف العربى أيضا الوانا من الحياة لم يكن له بها عهد من قبل وعادات وتقاليد والوانا من الأزياء والتصرفات لم يرها من قبل ، فعرف أن هناك أنواعا من الحياة وراء الحدود التى تصورها للعالم وان هذا العالم يمتد الى أبعد مما كان يتصور فتطلع الى هذا العالم الجديد يدفعه حب الاستطلاع والبحث عن عناصر القوة التى جعلت من هذه الدول قوة تستطيع أن تهز هذه القوة التى تغلبت عليه وتمكنت منه آمادا طويلة . وكانت الاستجابة التى تقبل بها الشعب المصرى أعمال المصلحين وطموحهم تدل دلالة قاطعة على أن وعيا قوميا كان قد أخذ فى الظهور . وأن طموحهم لم يكن الا طموحا شعبيا أحسوا به هم واستغلوه اما استغلال . فتداخل طموحهم الشخصى مع الطموح الشعبى ، أو قل أن طموحهم الشخصى كان صورة متبلورة للطموح الشعبى العام الذى ظل متقدا عند ما خبت حياة هؤلاء المصلحين وانطفأت شعلة حيواتهم وبقيت هذه الجذوة متقدة يغذيها أعضاء البعثات وينمونها .

– ٢ –

ثم جد عاملان جديدان[1] قفزا بالنهضة الفكرية قفزة واسعة وكان نصيب الاسكندرية منها نصيبا كبيرا ، وأول هذين العاملين كثرة وفود

---

(١) جورجى زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ الدكتور محمد يوسف نجم – المسرحية فى الأدب العربى الحديث الفصول الخاصة بالإقليم المصرى ، عبد الرحمن الرافعى – الحركة القومية .

الأجانب واستقرار بعضهم فى الاسكندرية عند ما بدأ رأس المال الأجنبى يغزو مصر ويسيطر على امكانياتها الاقتصادية وما تبع ذلك من كارثة اقتصادية مكنت لهم وأتاحت لهم السيطرة على معظم مرافق البلاد .

أما العامل الثانى فهو كثرة وفود السوريين واللبنانيين الى مصر هربا من تعسف الأتراك وظلمهم لهم والتماسا للرزق وسعيا وراءه . وهى عناصر نشطة مثقفة ثقافة أوربية عميقة نتيجة للارساليات التبشيرية التى كانت ترسلها أوروبا اليهم وخاصة فرنسا وأمريكا . وكان الاحتكاك المباشر بهذين العنصرين عاملا منشطا لهذه اليقظة الفكرية التى تحدثت عنها ودافعا قويا للشعب المصرى والعناصر العربية فى الاسكندرية على الاقبال على الثقافة الأوربية ينهلون منها حتى يسايروا ركب الحضارة ويعوضوا ما فاتهم خلال قرون الركود والخمول .

وكانت مظاهر هذه اليقظة القوية كثيرة متعددة : أولها نشأة الصحافة وكان معظم مؤسسيها من السوريين واللبنانيين . ومن أول هؤلاء سليم الحموى الذى أصدر بالاسكندرية فى ٦ أغسطس سنة ١٨٧٣ صحيفة الكوكب الشرقى ثم أتبعها بأخرى أسماها شعاع الكوكب فى سنة ١٨٧٦ . وكانت الأهرام ثانى صحيفة صدرت بالاسكندرية . وقد ظهر العدد الأول منها فى ٥ أغسطس سنة ١٨٧٦ . كما أصدر عبد الله النديم مجلة التنكيت والتبكيت سنة ١٨٨١ وهى أول مجلة صدرت بالاسكندرية ؛ ثم أصدر صحيفة الطائف فى يوليه سنة ١٨٨١ . وأصدر نجيب حداد وأمين حداد وعبده بدران بعد استقالتهم من الأهرام جريدة لسان العرب . وأصدر سليم سركيس صحيفة المشير فى أول نوفمبر سنة ١٨٩٤ لمحاربة الحكومة العثمانية واستبداد السلطان عبد الحميد .

وفى أواخر القرن التاسع عشر قرر أصحاب الأهرام الانتقال بجريدتهم الى القاهرة فانفصل عنهم رشيد شميل وأصدر جريدة البصير سنة ١٨٩٧ . وصدر بعد البصير جريدة وادى النيل لمحمد الكلزه فى ٢ مايو سنة ١٩٠٨ ،

والأهالى لعبد القادر حمزه فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٠ والأمة أصدرها توفيق طنوس فى ٨ أكتوبر سنة ١٩١٥ ثم تولاها عبد اللطيف الصوفانى ورأس تحريرها محمد الهلباوى وكانت لسان الحزب الوطنى فى أعقاب الحرب العالمية .

وظهر من المجلات فى يناير سنة ١٨٩٨ مجلة أنيس الجليس لألكسندرة أفرينيو وهى سورية الأصل تزوجت يونانيا . وكان يحرر هذه المجلة ابن حداد وقد كتب فيها كثير من كتاب العصر وشعرائه وخاصة الشبان منهم ، كما ظهرت مجلة الجامعة لفرح أنطون فى ٥ مارس سنة ١٨٩٩ . وتميزت هذه المجلة بنقل روائع الفكر الفرنسى للكتاب من أمثال جان جاك روسو وبرناردين دى سان بيير ورينان . واحتدم الجدل بينه وبين الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا حول ابن رشد وكان فرح أنطون متأثرا بكتاب رينان عن الفيلسوف العربى .

ولن نستطيع أن نستقصى فى هذا البحث كل المجلات التى ظهرت فى هذه الفترة ، ولكن يكفى أن نذكر أنه ظهر فى الاسكندرية مائة وسبع وعشرون صحيفة فيما بين سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٢٩ ، كما ظهر اثنتان وخمسون مجلة فى هذه الفترة . وأخصب فترة فى هذه المرحلة هى الأربعون سنة الأولى [1] .

والمظهر الثانى لهذه اليقظة الفكرية هى الترجمة الأدبية . فقد أخرجت مطابع الاسكندرية فى هذه الفترة — نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين — ما يقرب من تسعين رواية مترجمة عن الفرنسية والانجليزية . ومعظم هذه الترجمات عن الفرنسية [2] . وأهم المؤلفين الانجليز الذين ترجم لهم هم شكسبير وريدر هجارد . فقد ترجم لشكسبير رواية روميو وجولييت

---

(١) الفيكونت فليب دى طرازى — تاريخ الصحافة العربية ؛ صدقى شيبوب ، تاريخ الصحافة فى الاسكندرية مقالان بجريدة البصير عدد ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٤ ، ٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤

(٢) هذا الاحصاء يعتمد على فهارس المكتبة البلدية .

ورواية هاملت . أما المؤلفون الفرنسيون فهم تونسون دى تيرايل — ١٨٧١ وميشيل زيفاكو — ١٩١٨ واسكندر دوماس — ١٨٧٠ ولامارتين — ١٨٦٩ وفيكتور هيجو — ١٨٨٥ وبول سويتا . وأغلب الذين ترجموا عن الفرنسية كانوا من الشوام ! وهم نجيب حداد وسعيد البستانى وسع شميل واسكندر عمون وحنا صاده والكسندره افرينو والياس فياض وقيصر شميل وداود مرعب وشاكر شقير واسكندر كنعان ويوسف شديد ويوسف خورى وخليل مطران وأديب اسحاق . وأهم المترجمين عن الانجليزية هو نقولا رزق الله . وهناك من قام بالترجمة من اللغتين مثل طانيوس عبده .

وأهم ما نلحظه فى هذا الاحصاء هو أن معظم هؤلاء المترجمين من السوريين واللبنانيين ان لم يكن كلهم . وهناك ملاحظة أخرى فيما يختص بالمؤلفين الذين ترجموا لهم نرجئها الى حينها من هذا البحث .

وثالث هذه المظاهر ظهور المعاهد والجمعيات التى اقتصر بعضها على العلم وأخذ الآخر صبغة سياسية أو اجتماعية . وأول هذه المعاهد فى الظهور هو المعهد المصرى[1] أو مجلس المعارف المصرى . ولم يكن هذا المعهد جديدا فقد أنشأه بونابارت فى القاهرة ابان الحملة الفرنسية ثم توقف عن عمله بذهاب الفرنسيين عن مصر ، وقد أعاد انشاءه فى الاسكندرية جماعة من رجال العلم بها وقد انشأوه سنة ١٨٥٩ . ثم نقل الى القاهرة سنة ١٨٨٠ وكانت لغته الرسمية الفرنسية وان كان أعضاؤه من الأجانب والوطنيين وكل أبحاثه شرقية ورؤساؤه من الأجانب كان منهم مريت باشا ودى شامبور وكولتشى وماسبرو وارتين باشا[2] .

ونشأت جمعية مصر الفتاة وكان من أعضائها جمال الدين الأفغانى وأديب اسحق وسليم نقاش وعبد الله النديم ونقولا توما وكلهم من رجال

---

(١) Institut Egyptien.

(٢) لمعرفة تاريخ هذا المعهد بالتفصيل يراجع مقال لتوفيق اسكاروس ، الهلال سنة ١٩٢١ ص ٥٧٩

الفكر وأصحاب الأقلام وأصدروا جريدة مصر الفتاة . وأنشئت جمعية الشبان قبل الثورة العرابية للاحتجاج على التصريح الفرنسي الانجليزي الذي ترتب عليه نشوب الثورة . وطالبت هذه الجمعية بانشاء بنك وطني حتى تتخلص البلاد من استئثار الأجانب بمرافق البلاد .

وأنشئت بعد ذلك الجمعية الخيرية الاسلامية وهي غير الجمعية الباقية بهذا الاسم الى اليوم . وكانت هذه الجمعية رد فعل لاستئثار الأجانب بمرافق البلاد الاقتصادية فتشكلت هذه الجمعية لفتح المدارس لتعليم البنين والبنات وتهذيب أخلاقهم على أن تكون تلك المدارس حرة مطلقة كما يستفاد من قانونها المطبوع . ومع أن الهدف الأساسي لهذه الجمعية كان هدفا سياسيا اجتماعيا الا أن أعضاءها كانوا يلتقون بالجمهور السكندري ليلا ليتحدثوا في المواضيع العلمية والتاريخية . وقبيل افتتاحها انضم اليها عبد الله النديم فكلفته الجمعية بافتتاح مدرسة . يشرف هو عليها وأعانته الحكومة بمساعدة مالية ، وأعطته مكانا ينشيء فيه مدرسته وقد اشترطت الحكومة لاعانتها ألا تقتصر الجمعية على المسلمين فغيرت اسمها الى الجمعية الخيرية المصرية واعتبرت الحكومة المدرسة مدرسة رسمية وصادقت على قانونها . واطرد تقدم الجمعية والمدرسة حتى بدأت الثورة العرابية فانفصل النديم عنها وانضم الى الثورة ثم انفرط عقد الجمعية بعد هذا . وكان من مؤسسي هذه الجمعية حسن منصور والدكتور حسن سري ومحمد شكري والحاج أمين كيال والشيخ محيي الدين النبهاني ومحمود واصف والشيخ علي ضيف وحسن المصري وعبد المجيد عمر شويطي[1]. وتأتي أهمية هذه الجمعية من مجموعة الأدباء والخطباء الذين كانوا يفدون على دار الجمعية ، ويكفي أن نذكر أن عبد الله النديم وأحمد سمير وأديب اسحق وابراهيم اللقاني وأحمد العوام كانوا من هؤلاء .

وأنشئت أيضا جمعية العروة الوثقى الاسلامية سنة ١٨٩١ للقيام بالأعمال الخيرية ونشر العلوم والمعارف والآداب والصنائع وتعليم الفقراء مجانا

---

(١) يلاحظ أن معظم القائمين بهذا النشاط كانوا من الوطنيين .

والاعانة على تربيتهم .. وكانت تجمع ايرادها من اشتراكات أعضائها وتبرعات المحسنين .. وتنقسم أعمالها الى أقسام أهمها التعليم . وقد أنشأت لذلك المدارس الابتدائية والثانوية والتحضيرية والصناعية للذكور والأناث ، وأنشأت مدرسة صناعية لازالت قائمة الى اليوم وهى مدرسة محمد على الصناعية يتعلم فيها الطلاب أهم الصنائع كالنجارة والحدادة والسروجية والنقش وصنع الأحذية مع مبادىء الحساب والهندسة والكيمياء والطبيعة . وأنشأت أيضا ملجأ للأيتام اللقطاء اسمه الملجأ العباسى . وقد انضم الى هذه الجمعية جمعية أخرى كانت قد أنشئت فى ذلك الوقت وهى جمعية حماية الأطفال .

ثم تأسست جمعية الاخلاص سنة ١٨٩٥ برئاسة محمد طاهر ولكنها لم تلبث أن انضمت الى جمعية العروة الوثقى ، ثم توالى بعد ذلك انشاء الجمعيات والأندية . ولعل أهم ناد أنشىء بعد ذلك هو نادى موظفى الحكومة الذى أنشىء سنة ١٩٠٩ . فقد كان هذا النادى جامعة أهلية تلقى فيه الخطب والمحاضرات فى العلم والأدب وتمثل فيه الروايات الأدبية . وكانت تلقى فى النادى دروس لطلبة البكالوريا وليسانس الحقوق . وقد تخرج منه كثيرون ومنه نشأت مشروعات اجتماعية عظيمة . فقد تأسست فيه جمعية المواساة الاسلامية ونقابة مستخدمى الحكومة وشركة المشروعات الأهلية وشركة التعاون المنزلى لموظفى الحكومة ونادى الرياضة البدنية ولجنة تمثيل . وكان لهذا النادى لجنة ادارية مؤلفة من ١٢ عضوا لادارته منهم عثمان باشا مرتضى ووكيلاها محمد بك مالك الاسكندرى ومحمد بك الجمل وبلغ عدد المشتركين فيه اذ ذاك ٢٥٠ عضوا .

والمظهر الرابع [1] من مظاهر هذا الوعى القومى هو انشاء جمعيات التمثيل وتكوين فرقها . وقد شارك السوريون واللبنانيون بسهم وافر . وأقدم هذه الجمعيات هى جمعية ألفها عبد الله النديم من تلاميذ المدرسة الخيرية

---

(1) يراجع لذلك الدكتور محمد يوسف نجم ، المسرحية فى الأدب العربى الحديث الفصول الخاصة بالتمثيل فى مصر .

الاسلامية وقد مثلت روايات ثلاث على مسرح زيزينيا . وقد حضر الخديوى هذه الروايات وهى رواية الوطن والثانية روايح العرب والثالثة مصر وطالع التوفيق . وكلها يرمى الى غرض سياسى وكلها من تأليف عبدالله النديم . وكانت هذه الروايات — وخاصة الثانية منها — ترمى الى أغراض وطنية بحتة ، وأشارت الثالثة الى التقهقر العظيم الذى أصاب مصر فى عهد الخديوى توفيق ودعت الى مناهضة الأجانب فحلت الحكومة الجمعية .

وفى سنة ١٨٧٦ حضر الى الاسكندرية أديب اسحق وسليم نقاش على رأس فرقة من الممثلين وقدما مسرحيات عديدة على مسرح زيزينيا منها مسرحيتا اندروماك وشارلمان وهما من ترجمة أديب اسحق . وألف نجيب حداد فرقة أخرى فى ذلك الوقت وترجم وألف لها أكثر من عشرين رواية اشترك فى التمثيل فيها والغناء الشيخ سلامه حجازى .

وتألفت جمعيات أخرى لترويج التمثيل بين الناس مثل جمعية الابتهاج الأدبى أنشئت سنة ١٨٩٤ وقد ألفها مستخدمو البوسطة المصرية برئاسة سليم عطا الله . وكان هدف هذه الجمعية هدفا أخلاقيا فقد كانت ترمى الى منع أعضائها من تمضية ساعات الفراغ فى أماكن اللهو ، وتفرض عليهم أن يجمعوا من المال ما يكفى لأن يؤلفوا فرقا تمثل روايات أدبية يحضرها عائلات الأفراد فقط ، وقد ظلت عاملة أعواما طويلة ثم طواها النسيان . ثم أنشئت جمعية الترقى الأدبى وشركة التمثيل الأدبى وجمعية المعارف الأدبية التى أنشئت فى عام ١٩٠٠

والمظهر الخامس لهذا الوعى القومى هو انشاء المكتبات العامة . وأول مكتبة أنشئت فى الاسكندرية أنشأها المجلس البلدى فى ١٤ يوليه سنة ١٨٩٢ وعين لقسمها الأوربى أمينا سويسريا هو فكتور لوريس ، وعين بها الشيخ أحمد أبو على الأزهرى أمينا للقسم العربى . وكانت فى أول نشأتها تحتل حجرة صغيرة فى المتحف الاسكندرى ثم نقلت الى دار البلدية ومنها الى بناء فى شارع أبى الدرداء وبعد ذلك نقلت الى مكانها الحالى . ولم يكن بها

فى أول أمرها الا بضع عشرات من الكتب الافرنجية فسعى أمينها العربى الى الاستكثار من الكتب العربية فأهدتها الحكومة ٤١٣ كتابا عربيا من مطبوعات بولاق وكانت هذه فاتحة القسم العربى بها ثم اطرد نموها بعد ذلك .

— ٣ —

كل هذه المظاهر كانت دلائل يقظة قوية واحساس عميق بالرغبة فى التطور صاحبها تطور عمرانى ضخم [١] . وكانت تهدف جميعا الى أهداف سياسية واجتماعية واقتصادية وتعليمية وثقافية ونشر الوعى القومى بين أفراد الشعب مجاراة لما كانت عليه الدول الأوربية . وإذا كانت هذه المظاهر دلائل على هذه اليقظة القوية فإنها كانت فى نفس الوقت عوامل قوية لنهضة الأدب والبيئة الأدبية الضرورية لمثل هذه النهضة . وبما كانت تنشر من أفكار جديدة هيأت مادة جديدة للأديب أن يصوغها وهيأت فئة جديدة مستعدة لتلقى هذه الاتجاهات الجديدة فى الأدب . وقد اشتركت هذه العوامل جميعا فى خلق هذه البيئة . أما الصحافة والترجمة فقد كانتا العاملين الأساسيين اللذين أفادا الأديب افادة خاصة اذ كشفت الترجمة عن امكانيات جديدة فى اللغة العربية بما أوضحت له من قدرتها على التعبير عن الأفكار الجديدة . وقد اشتركت الصحافة معها فى هذا المضمار .

أما تأثير الصحافة فيتضح من هذا النص الذى نقتبسه من مقال كتبه أديب اسحق يقدم به جريدته يقول[٢] : « وأنشأت هذه الجريدة على علمى بقلة اطلاعى ونزارة بضاعتى وأوجبت على نفسى فيها أمرا وتجافيت عن الرغبة فى أمور مراعيا على كل حال حقوق الانسانية والوطن واللغة معنياً بجعل سيرى موافقا لسير المعارف فى هذه الأقطار ، ورأيت من الواجب على :

---

(١) يراجع فى ذلك محمد محمود المنحة الدهرية فى تخطيط مدينة الاسكندرية .

(٢) أنظر أديب اسحق ، الدرر ص ١٤٠

(أولا) أن أصرف العناية والاجتهاد الى تهذيب العبارة وتقريب الاشارة لتقرير المعنى فى الافهام من أقرب وأعذب وجوه الكلام وانتقاء اللفظ الرشيق للمعنى الرقيق متجنبا ما كان من الكلام غريبا وحشيا أو مبتذلا سوقيا . فان التهافت على الغريب عجز ، وفساد التركيب بالخروج عن دائرة الانشاء داء اذا سرى فى القراء والطالبين أدى الى فساد عام وأغلق على الطلبة معانى كتب العلم . والتنازل الى ألفاظ العامة يقضى باماتة اللغة واضاعة محاسنها وان فى لغة القوم لدليلا على حالهم .

(وثانيا) أن أسير فى السياسة سيرة تحب لوطنه لا تأخذه فيه لومة لائم ، وناقل عدل لا يتجاوز به الميل جانب الانصاف ولا يحمله الغرض على المماراة والأرجاف . وراو ثقة لا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يمارى فى ما علم واذا رضى لم يقل غير الصدق ، واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق وصديق رفيق بأهل ديارة ولغته يروى لهم الوقائع متجنبا الباسها اللفظ الموجب لنفور النفوس وكسر الخواطر متجافيا عن نشر الأباطيل والترهات مما يتهافت عليه المبطلون من أجل الأغراض ، ملتزما احياء الهمم فى أهل هذه اللغة ، داعيا الى التعاون والتوازر على خطب الشرف واستجلاب العزة ودفع المعرة ، ملتمسا تقوية الروابط ، مجتهدا فى دفع العداوات المبنية على الأوهام الموجبة لزوال السعادة ، مقاوما كل عنيد يسعى فى ايقاع الفتن واحداث الشقاق ، متجملا من كل باغ أشرب فى قلبه حب البخل تحاملا لو وافقنى الطبع على مقابلته بمثله لتنى أن لا يكون شيئا موجودا ، صابرا على أذى كل جاهل غوى همه ابدال الحق بالباطل وادالة الحسن من القبيح وتغيير الصلاح بالفساد معرضا عن كل أحمق أمعة لم يستضىء بنور العلم ولم يلجأ الى ركن وثيق . فهو يتبع كل ناعق ويميل مع كل ريح دافعا بسلاح الحق عن الحق قوما جهلاء تمادوا فى غيهم وأسرفوا فى تحاملهم حتى ملهم الباطل وسئمهم النفاق بعد أن نبذهم الحق ولفظهم الصدق ففاتهم هذا ولم يبلغوا ذاك فلم يرض بهم العالم ولا الجاهل ولا الظالم ولا العادل . ولو رزقوا ساعة ادراك فنظروا ما قدمت أيديهم لقالوا ياليتنا كنا ترابا .

(وثالثا) أن أقضي واجبات الجرائد بنشر المقالات العلمية والأدبية تنبيها للخواطر وتوثيقا للأخلاق . وقد اختصصت هذا الباب بمعظم العناية لأنه علم يستفيد منه العالم والجاهل والكبير والصغير . وذلك لأن العالم غير متناه ؛ فانه نتيجة حركة الفكر الناشئة عن الحركة العلمية التي يستحيل انعدامها لتعين انعدام الزمان عليه . وهو بالبداهة مستحيل خلافا لكل مغرور يزعم أن من تعلم مسألة من العلم أو مسألتين صار في غنى عن مطالعة المطالب العلمية . وأيم الله لو بقي الانسان في سلسلته الكلية ألوف ألوف من السنين مستكشفا في كل يوم ألوف ألوف من المسائل . وفاتحا كل أسبوع بابا من أبواب العلم لما تجاوز الخطوة الأولى من سيره في هذا المجال الوسيع ، وكذلك الآداب فانها مما يفتقر اليه الناس على اختلاف مراتبهم لأن استقامة الأخلاق غاية في الصعوبة وأصعب منها الفرق بين حسنها وقبيحها . أم ترى أن الانسان اذا نظر بمجهر عقل الكل لا يستطيع أن يميز بين الوقار والتكبر ، وبين التواضع والذلة ، وبين الشجاعة والتهور ، وبين الاقتصاد والبخل ، وبين التبذير والسخاء وان عاش عمرا طويلا . وان الانسان ولوع بحب ذاته ، عزوف عن الحكم بقبح ما اتصف به ، كما ترى ذلك فيمن يعترض علينا في هذا المقال وأنه محل للغفلة . وهو والحالة هذه محتاج أبدا الى منبه ومذكر ومبين للأخلاق » ...

يحدد أديب اسحق في هذا النص هدف الصحافة وهو في نظره هدف أخلاقي سياسي أدبي تعليمي ، والذي يهمنا من الناحية الأدبية هو الهدف الأول والهدف الثالث . ففي الثالث يتحدث عن نشر المقالات الأدبية والعلمية . وهذا في حد ذاته منشط للأدب ، كما أنه يعين على خلق البيئة الأدبية وخلق الأفكار الجديدة فيها وتقديمها الى الأديب لكي يصوغها .

أما الهدف الأول فلعله أخطر هذه الأهداف من الناحية الأدبية ، فهنا يهدف الصحفي الى خلق لغة مناسبة للعصر . وهي لغة بسيطة غير معقدة مناسبة للمعاني متجنبة الغريب الوحشي أو المتبذل السوقي . وهو يرى أن في انتشار مثل هذا الغريب مفسدة للذوق اللغوي . وهكذا دعا أديب اسحق الى نخل اللغة وانتقاء الصالح

البسيط المناسب للذوق منها . وقد أشار الى عملية الانتقاء هذه فى مقال آخر عن واجبات الجرائد نورد منه النص الآتى : "ومنها (أى الواجبات) تهذيب العبارة ، وتقريب الاشارة ، وتقرير المعنى فى الافهام ، واطراح ما يتجافى من اللفظ عن مضاجع الرقة ، وما كان منه غريبا تفر منه الخواطر وتشمئز النفوس . فانه لا عذر لمن يقول عقنقل وفى اللغة كثيب وقدموس وفيها قديم والشهر المنصرم وفيها الماضى والسابق والغابر والمنسلخ والمنحسم وكثير غيرها . وذلك مع تجنبنا مبتذل الكلام وسوقيه ، واطراحنا فاسد التركيب وعاميه ، فانه داء اذا سرى فى عامة الناس أمات اللغة وأغلق على الطلبة معانى كتب العلم . ولا أزيد بها القارىء علما أنها كنوز لا توصف نفاسة ولا تعد كثرة .

على أننا لا ننكر أن لحركة العصر حكما قاطعا ، ولاصطلاح أهله قضاء نافذا ، وان كاتبنا فى هذا الزمان لا يستطيع أن يتلو تلو السابقين من المولدين والمتقدمين فان علمهم كان زائدا عن حاجات عصرهم ، أما هو فحاجات عصره تزيد عن علمه وذلك فضلا عن الترجمة وتشعب مذاهبها فانها الغاية التى تبارى اليها كتاب هذا العصر ويتسابقون ولكن قليل ما يدركون" .

من هذا النص — وغيره كثير — يتضح أن الصحافة كانت ترمى الى خلق لغة جديدة تلائم العصر ، وما يتطلبه من تعبير مباشر دقيق ومن مناسبة بين المعنى وبينه . وكانت تحاول أيضا أن تجارى الذوق اللغوى العام وذلك عن طريق البحث فى اللغة وانتقاء الكلمات التى تتفق وهذه الأغراض . كما كان من أهدافها أن تنقل الأفكار الأوربية وهى تشترك مع الترجمة فى هذا الهدف . ولكن الشىء الذى لم يتيسر للترجمة أن تفعله والذى استقلت به الصحافة وكان له أبعد الأثر فى لغة الأدب هو أن الصحافة استطاعت أن تعبر عن أفكار جديدة كل الجدة ولدها الكتاب من الأفكار الأوربية . وبهذا كشفت الصحافة عن امكانيات أخرى جديدة للغة العربية لم يتيسر للعوامل الأخرى أن تكتشفها .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٨

وهكذا تهيأت بيئة جديدة نشأت فى أحضان الثقافة القديمة من حيث لغتها ودينها وأدبها وقيمها ومثلها ، ولكنها اتصلت بالأفكار الأوربية . وأثرت فى أهلها هذه الأفكار تأثيرا قويا فعالا فزعزع ايمانهم بمثلهم القديمة وبالقيم التى خلفها أباؤهم وأجدادهم . وتغيرت نظرتهم للحياة وأزادت حساسيتهم بها ، ورأوا فيها أنواعا من العواطف والأخلاق والمشاعر لم يتنبهوا اليها من قبل ولم يكن لهم بالصور التى تتخذها عهد . وهزت هذه الأفكار الجديدة رواكد النفوس وفتحت اغلاقها على ساحة من الألم تلفح المطل عليها بشواظ من نار فلا يملك نفسه من التراجع والتوجع فأصيبت بالقلق والتردد بين ماض عتيق ومستقبل مريب وقد بعدت المسافة فيها بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون وبين ما هو كائن ، ووجد أهلها أن البون شاسع بين المثل التى ترسمها[1] هذه الأفكار وبين واقع حياتهم . واضطربت فى نفوسهم آمال لم يروا السبيل الى تحقيقها هينا سهلا ولم يجدوا اليها طريقا واضحا بينا يستطيعون أن يطرقوه فيأخذهم الى ما كانوا يطمحون اليه ، فانتابهم الشك فى أنفسهم وفى التراث والقيم التى عاشوا عليها أمدا ، واتهموا هذه القيم والمثل القديمة فثاروا عليها .

ولكن مهما يكن من شأن هذه البيئة فقد كانت بيئة جديدة ، خلقتها هذه العوامل الطارئة الدخيلة التى جدت على المجتمع فى الاسكندرية ، وهى بيئة تطالب بالتجديد وتحس بالحاجة الى تعبير جديد . واستقامت الأدوات الشعرية لكى يظهر الشاعر الجديد الذى يستطيع أن يتجاوب مع هذه البيئة الجديدة . فانتشرت الأفكار الجديدة التى يستطيع أن يستغلها نقلا أو توليدا منها ، وتيسرت اللغة ومرنت على التعبير عن هذه الأفكار . وهكذا تهيأ المسرح للمثل الجديد أن يظهر ويواجه جمهوره . وقد فعل .

---

(١) يراجع مقدمة ديوان المازنى ج ١ والفصول الأولى من كتاب صبحى وحيده المسألة المصرية .

ولكنا قبل أن نعرض لهذه النظرية الجديدة يجب أن نعالج أمرين هامين حتى تتضح معالم هذه النظرية الشعرية أو الأدبية عامة وتتبين ملامحها . وأول هذين الأمرين — وسنعالجهما بشكل عام — هو طبيعة هذه الأفكار الجديدة أو على الأصح مصادر هذه الأفكار الجديدة . والأمر الثانى هو وصف البيئة الأدبية القديمة التى ثارت عليها النظرية الجديدة وأصحابها .

أما عن الأمر الأول فراجعه كثيرة متعددة ، ومسالكه متشعبة ، وحصر المادة فيه جهد تذل منه أعناق الرجال . ولكنا سنكتفى بالقليل الدال ، ونضرب صفحا عن الكثير المتشعب ، اذ هذا جهد الباحث المتزود وموضعه كتاب وليس بحثا . وسيكون عوننا على تجلية هذا الأمر مجموعة مقالات لأحد كبار رجال الصحافة فى الاسكندرية وهو أديب اسحق وهو كتاب اسمه الدرر ثم الترجمات العربية . ومن هذه المقالات — اذا انتخبنا منها ما كتبه فى الاسكندرية — مقالات فى الحرية وتعريفها ، الحرية الفردية والسياسية والتعصب والقساهل والملك والرعية والأمة والوطن والأمانى الوطنية والاستبداد والحرية ، وعن الانتخابات عند الدول ومقالات فى التاريخ للأمة المصرية ، ومقالات فى الفلسفة ومذاهبها ، ومقالات فى الكتابة والتعليم وانتشاره ومجانيته . وهو يشير فى هذه المقالات الى المذاهب السياسية التى اصطرعت فى أوربا فى ذلك العصر كالاشتراكية والقومية والأحرار والديمقراطية . أما فى الفلسفة فهو يتحدث عن الوضعية والمثالية والمادية والأخلاق فيتحدث عن الواجب والحق وأقسام الواجب والحق والحقوق والواجبات الطبيعية والحقوق والواجبات الذاتية والحقوق والواجبات النوعية والفضائل وعلاقة السياسة بالأخلاق . ويكتب سلسلة من المقالات يحاول فيها التوفيق بين المذاهب الفلسفية المختلفة ويثبت فيها ان الاختلاف فيما بينها اختلاف شكلى غير حقيقى اذا نظر فيه الباحث المدقق . فيقول [1] :

« يزعم بعض الناس أن الفلاسفة قد اختلفوا وتناقضوا وتغايرت آراؤهم

---

(١) أديب اسحق ، الدرر ص ٤٧٠

فى كل زمان حتى امتنع احصاء مذاهبهم واستقصاء مشاربهم ويظهر هذا الكتاب لمن تجلد لتصفحه فساد هذا المقال » .

واذا استعرضنا الفلاسفة الذين يقتبس من كتاباتهم للتدليل على آرائه فسنجد أنه يخلط بينهم أيضا ؛ فسقراه يقتبس من أفلاطون وأرسطو واجست كونت واميل لتره وجان جاك روسو ومونتسكيه .

واذا نظرنا الى الترجمة فسنجد أن المترجمين كانوا يمثلون هذا الاتجاه أيضا . فهى ترجمة لكتب وقعت تحت أيديهم فقرأوها وأعجبوا بها ورأوا أن فى ترجمتها متعة لأنفسهم وللقراء . ولم تكن ترجمة تصدر عن ايمان بمذهب معين فقد ترجموا للرومانتيكيين كلامرتين وهيجو وللفنيين وللرمزيين والبارناسيين والكلاسيكيين .

والذى لم ينتبه اليه القراء بعد ذلك أن المذاهب الفلسفية المختلفة تصدر عن مسلمات ومفهومات تختلف فيما بينها وتؤدى الى نتائج فى الأخلاق والسياسة والاجتماع بعيدة المدى وأن أثرها فى الأدب بعيد الغور[1] . فالوضعيون يسلمون بوجود الأشياء وجودا حسيا منفصلا عن الانسان ، والمثاليون والنفسيون لا يؤمنون بوجود خارجى لتلك الأشياء ولا يعترفون بها كحقيقة فى ذاتها وانما يرونها صورا ذهنية عند الانسان وترجع حقيقتها الى هذه الصور أو الانعكاسات لصور مثالية مجردة بعيدة عن عالمنا المحسوس . والوضعيون يرون فى معطيات الحواس وسيلة فعالة لتحقيق صور الأشياء الذهنية ، بينما يرى المثاليون والنفسيون أن تلك الصور الذهنية لا تستطيع الحواس أن تحققها بل تقتصر على أحداث وقعها فى الذهن ويمايز ذلك الوقع بمايز الأشياء . وعلى أساس كل من وجهتى النظر الفلسفيتين السابقتين ظهر فى الشعر المذهب البارناسى القائم على عنصر البلاستيك أى التجسيم . وهم يطلبون الى الشعر تصوير تلك المجسمات بفضل معطيات الحواس

---

(١) محمد مندور – المذاهب الأدبية – فصل الرمزية ، والوضعية .

فهرس القسم العربى

١ — عبد المحسن عاطف سلام — صفحة

الحركة الأدبية فى الاسكندرية الحديثة ١

٢ — السيد أحمد خليل

مصر فى تاريخ التمر ٥١

٣ — السيد محمد بدوى

أصول المذهب الاجتماعى فى دراسة الأخلاق ٧٣

٤ — محمد عبد المعز نصر

فكرة الإسلام فى العلاقات الدولية ١٠١

٥ — عبد الحميد صبره

« برهان » نصير الدين الطوسى على مصادرة إقليدس الخامسة ... ١٣٣

٦ — أحمد أبو زيد

نظام طبقات العمر ، دراسة فى الانثربولوجيا المقارنة ١٧١

المؤتمرات

٧ — محمد خلف الله أحمد

تقرير عن مؤتمر طشقند للكتاب الأسيويين والإفريقيين (أكتوبر ١٩٥٨) ٢١٥

٨ — جمال الدين الشيال

تقرير عن " مؤتمر حركة التأليف التاريخى فى الشرقين الأدنى والأوسط " (يوليو ١٩٥٨) ٢٢٧

التي هي أبواب النفس البشرية التي تطل منها على العالم . وذلك بينما يرى الرمزيون وأنصار الشعر الصافي أن وظيفة الشعر انما هي نقل وقع الأشياء من نفس الى نفس . فالشعر عدوى ونقل حالات نفسية لا تجسيم أو تفسير أو نقل معان أو صور محددة ، ولذلك يقولون بنظرية العلاقات التي عبر عنها الشاعر الفرنسي بودلير ببيت من الشعر يقول فيه ما ترجمته « ان العطور والألوان والأصوات تتجاوب » . فهي تتبادل وتحل بعضها محل بعض في احداث الوقع النفسي الواحد بحيث يستطيع الشاعر أن يصف مرثيا بصفة ملموس . فيقول مثلا عن السماء المغطاة بسحب رمادية بيضاء ان لونها كان في نعومة اللؤلؤ . واللون لا يعبر عنه في اللغة التقليدية بالنعومة ولكننا مع ذلك نحس بقوة التعبير وبخاصة من الناحية النفسية اذ نراه ينقل الى نفوسنا احساس الشاعر الحقيقي ووقع ما رأى في نفسه . وهذا اتجاه له أصوله في حقائق اللغة ووظائفها بل وفي اللغة التقليدية ذاتها حتى لنرى شاعرا تقليديا عريقا كالأستاذ على الجارم يقع متأثرا بهذا الاتجاه الجديد أو مساقا بشعوره الغلاب على مثل هذه العبارات فيقول :

أسوان تعرفه اذا اختلط الدجى بالنبرة السوداء في أنـــاته

فالنبرة صوت ، والتقليد لم يجر بوصف الأصوات بالألوان لاختلاف الحاسة ومع ذلك يصف الجارم تلك النبرة بأنها سوداء فيكسب تعبيره قوة شاعرية نافذة ناجحة في احداث العدوى ونقل الحالة النفسية من الشاعر الى القارىء أو السامع .

لم يكن هناك اذن مذهب معين آمن به نقلة الفكر الأوروبي صحفيين كانوا أم مترجمين ، بل كانت هناك أخلاط وأشتات من المذاهب الأوربية المختلفة . وتميز بهذا الخلط أيضا أولئك الذين ملكوا ناصية هذه اللغات الأوربية واستطاعوا أن يقرأوا كتاباتها بلغتها الأصلية . هذه ظاهرة نجدها في كل الكتاب الذين حاولوا التجديد فنجدها ظاهرة في كتابات العقاد والمازني وشكري ، ولكنها مع ذلك كانت ذات أثر فعال في تحويل مجرى الأدب ومفهومه .

أما عن الأمر الثانى فيكفينا أن نقتبس نصا من مقال نشره العقاد فى الفصول ليصور فيه لنا ما كان عليه أسلوب الأدب فى هذا العصر ثم نشير الى الموضوعات معتمدين على أحد دواوين الشعراء . يقول العقاد [1] : « وأما الشعر فكان لا يقصد به غير الوزن والاستكثار من محسنات الصنعة فملأوه بالتورية والكناية والجناس والترصيع وجعلوا قصائدهم كلها كأنها شواهد نظموها ليفرضوا بها كتب البيان والبديع ، وظهر فى الشعر التطريز والتصحيف والتشطير والتخميس ، وراح الشعراء يتبارون فى اللعب بالألفاظ وجمعها كما يتبارى الأطفال فى جمع الحصى الملون وتنضيده ، وكان الشاعر منهم يلاحق البيت بالبيت أو يشبك المصراع بالمصراع ويخلط كلامه بكلام غيره وهو لا يحسب أنه يخل بروح الشعر لأنه يلتزم حرف الروى فى كل بيت وعروض البحر فى كل قصيدة » .

هذا من ناحية الأسلوب أما من ناحية الموضوعات فيكفى أن نشير الى ديوان الصيرفى المنشور سنة ١٩٠٨ لكى ينكشف لنا نوع الموضوعات التى كان يطرقها الشعراء فى ذلك العصر . فهو يقسم ديوانه الى أبواب وهذه الأبواب هى باب المدائح النبوية ، وباب المدائح الخديوية ، وباب مدائح الاخوان والأصحاب ، وباب التهانى بالمواليد والأعراس ، وباب التشطير والتخميس وغيرهما وباب مطارحات الأدباء وباب المراثى . ولست فى حاجة لأن أسوق أمثلة من هذا الشعر لكى نتبين مدى الجمود الذى كان قد وصل اليه وتبين لنا عناصر ما رفضه المذهب الجديد فهو فى أسلوبه وموضوعاته يدل على ضيق فى الأفق ، وضعف فى الثقافة ، وموات لشعلة الحياة فى نفس الشاعر وانطفاء لجذوة الحساسية فيه . ويدل على اعلان بأن الحياة غذاء وشراب وألقاب لا مجال للروحية فيها ولا للعواطف الانسانية الجميلة والانفعالات المختلفة التى تجيش فى صدور الناس . وغريب أن يصدر ديوان كهذا فلا تجد فيه ما يدل على أن الشاعر قد استجاب لمنظر جميل أو وجه مشرق صبوح أو بحر تضطخب أمواجه أو وردة تتفتح أو تؤذن

---

[1] يراجع محمد مندور الشعر المصرى بعد شوقى ص ٤

بالذبول أو شمس تشرق أو تؤذن بالمغيب . ونحس في قصيدة له يصف فيها "البالو" وهو موضوع طرقه كثير من شعراء ذلك العصر — ومنهم شوقي — أنه يصف قطعة من المومياء لا حياة فيها . على مثل هذا الشعر موضوعات وأسلوبا ثار الشعراء المجددون وكانت ثورتهم رفضا للقيم التي صدر عنها هذا النوع من الشعر ان كانت هناك قيم على الاطلاق .

— ٥ —

وتعالج النظرية موضوعات مختلفة : فتتحدث عن الشاعر من يكون وعن الثقافة اللازمة له ، وعن نوع الحياة الذي يجب أن يعيشه ، ثم تتحدث عن ماهية الشعر وعن وظيفته وعن لغته وأوزانه . ولا تصدر هذه النظرية منسقة منظمة كما ذكرتها الآن ، ولكنها أشتات من الآراء نجدها متناثرة في كلام الشاعر : في مقدماته أو شعره . وهي لا تتضح الا اذا قارنا بين النصوص المختلفة ، واستعنا ببعض الشعراء على بعض حتى نستجلي ما غمض من كلامهم ؛ ولكنها على أية حال نظرية متسقة منتظمة وهي عند التطبيق ومقارنة الشعر الذي صدر عنها بها نظرية واضحة المعالم متميزة النمط .

ومصادرنا لاستجلاء هذه النظرية هي دواوين الشعراء المختلفة مقدماتها وشعرها : فنستعين بدواوين عبد الرحمن شكري الستة وقد نشر الأول منها سنة ١٩٠٨ والثاني سنة ١٩١٣ والثالث سنة ١٩١٥ والرابع سنة ١٩١٦ والخامس سنة ١٩١٦ أيضا والسادس سنة ١٩١٨ ، كما نستعين بديوان الفجر الأول لخليل شيبوب وقد نشر سنة ١٩٣١ . وديوان الاسكندرية وهو مجموعة منتخبات لشعراء الاسكندرية كابراهيم زكي وخليل شيبوب وزكي غازي وعبد الحكيم الجهني وعبد الحميد السنوسي وعبد الله شكري وعبد اللطيف النشار وعبد المنصف محمود وعثمان حلمي ومحمد السيد ومحمد فضل اسماعيل ومصطفى صبحي ومفيد الشوباشي . وقد نشرت هذه المجموعة سنة ١٩٣٥ وقدم لها الأستاذ علي محمد البحراوي بمقدمة طويلة وديوان مصطفى الحرتي واسمه أزهار الذكرى سنة ١٩٤٣ ، وديوان عثمان حلمي

وقد نشر سنة ١٩٣٦ ، وكتاب قبس من الشرق وهو مجموعة من الترجمات لشعراء شرقيين فارسيين وهنديين وصينيين ويابانيين وشعر بعض قبائل الزنوج وديوان النشار واسمه جنة فرعون ونار موسى الذى نرجح أنه صدر سنة ١٩٣٤

من هو الشاعر ؟ يقول عبد الرحمن شكرى فى كتابه الاعترافات متحدثا عن نفسه « نحن الآن فى عصر لا نرقى معه الا اذا خلصنا من رق الأوهام والخرافات التى هى كالأوهام والقيود . ومن أجل ذلك صرت أتعصب للانكار والجحود بقدر ما يتعصب غيرى للايمان . غير أن هذا الانكار يخيفنى ولا يرضى ذهنى فلا يفسر لى شيئا — لا يفسر لى من أنا ولماذا خلقت والى أين أذهب — فنفسى من النفوس التى لا تقنع بالانكار لأن لها حاجات دينية ليس لها غنى عنها . من أجل ذلك كان الانكار يورثنى اليأس والحزن فكنت أهيم فى شوارع المدينة ليلا لأن الليل أشبه بما كنت فيه من اليأس والحزن وكنت أنظر الى النجوم وهى تنظر الى بحزن واشفاق وأسألها عن الحياة والموت ، عن البقاء والفناء ، عن الله والانسان ، عن الدنيا والآخرة فتنظر الى بحزن واشفاق وبخفق سهيل كأنما يهز رأسه قائلا .. لا أعرف عنها شيئا ، فتصير الحياة أثقل من الكابوس أو كأنها حلم يروع ويقلق ولا يبعث الطمأنينة » .

هذه صورة نفس معذبة معلقة بين الشك والايمان تقبل على الحياة بنهم الجائع الذى يتساءل عن كل ما يحويه الوجود من مشكلات حار فى تفسيرها المفكرون والشعراء والمتصوفة . وهذه الصورة التى يعطيها عبد الرحمن شكرى عن نفسه هى صورة الشاعر كما يتصورها هو والصورة التى يعطيها له هى صورة نفس قلقة معذبة حائرة حزينة هائمة على وجهها ترى فى كل شىء ما يهيج أشجانها ويثير كوامن الحزن فيها . وهى شرهة العقل تريد أن تفكر فى كل شئ وأن تحس كل شىء . وهى ترى فى مجال الطبيعة وما تحويه الصدور موضوعات لا حصر لها تتساءل عنها فلا تجد جوابا فينتابها

اليأس والحزن وتضيق الحياة بها ، وهو يعبر عن هذا تعبيرا أدبيا جميلا ينطق بالرؤية الشعرية الفذة فى مقطوعة قصيرة سماها الشاعر وحبيبته [1] :

دعينى وحظى لست أهلا لأن ترى ... حبيبة مشبوب الفؤاد معذب
اذا ما رأيت البشر يملأ صفحتى ... ضياء فآمالى خديعة خلب
وما بعث الله الأديب ليتطى ... على سروات العز أطيب مركب
تريه مكان الهم عين بصيرة ... فيحويه منه كالجباء المطنب
يفر الرجاء العذب من خطراته ... فرار الصحيح الجسم من لمس أجرب
مهيجة أشجانه لا يمسها ... سوى كل فوار الصبابة أغلب
فهن كأعضاء اللديغ اذا دنت ... لشيء تأذّت من حكاك المقرب

وفى مقطوعة أخرى يصور لنا الشاعر وقد هام بمثل أعلى يطلبه فلا يجده فيهيم على وجهه ويهجر أهله وأترابه ويسير حيث لا يسير انس ولا جان يطلب هذه الحورية التى لا يعرف لها مكانا ولا يدرى لها خباء . وهى صورة لا يلبث حين يقترب منها أن تبعد عنه وأن تجافيه يقول :

قد حدثوا عن شاعر نابغ ... مجود الشعر شريف المقال
لم يعشق الغيد ولكنه ... هام ببكر من بنات الخيال
صورة حسن صاغها لبه ... وحدها فى الحسن حد الكمال
فصار كالطفل رأى بارقا ... هاج له أطماعه فى المحال
يعد نحو النجم كفا له ... ويحسب النجم قريب المنال
فأينما سار تراءت له ... كما تراءى خادعا لمع آل
خيالها دان به حائم ... كأنه غير عزيز النوال
وربما ألبسها وهمه ... جسما وكم وهم غريب الصيال
قد هجر الأتراب من وحشة ... وصار يمشى فوق هام الجبال

---

[1] ديوان عبد الرحمن شكرى جـ ١ ص ٣١

يحدث النفس بأمر الهوى ... ويسأل الأرواح برجع السؤال
فبينما يسعى على قمة ... تروع النفس بمرأى الجلال
رأى التى صورها لبه ... تصوير صب عابد للجمال
قالت له ان كنت لى عاشقا ... فاتبع خطاى واستضىء بالخيال
فسار يقفو أثرها هائما ... والمهتدى بالوهم جم الضلال
وهم أن يمسكها جاهدا ... بين ذراعيه بأيد عجال
وما زال يعدو جهده نحوها ... حتى هوى من فوق تلك التلال
فرحمة الله على شاعر ... مات قتيلا للأمانى الطوال

وهنا تتضح مأساة الانسانية التى تجاهد فى سبيل الوصول الى الكمال . وهى مأساة قد لا يحس بها قوم قد شغلوا بما فى الحياة من متع قريبة يوفرها لهم جهدهم القليل أو الكثير ولكنها قوية عارمة فى أولئك الذين وقفوا حياتهم على العلم والفن ، وهاموا بمثل خلقها خيالهم الحى المتيقظ بعيدة كل البعد عن واقع حياتهم . ولكنهم — مثلهم فى ذلك مثل الطفل المنطلق الذى لم تعلمه تجاربه فى الحياة حدود امكانياته — يخالون أنها مثل قريبة التحقيق . فهى تتراءى لهم أينما ساروا وحيثما ذهبوا ، وتتمثل لهم بكل دليل مثلها مثل الآل فى الصحراء . وقد تتجسم للفنان فى صورة امرأة جميلة أو منظر قطعة أرض جميلة ، أو منظر أصابع الفجر الوردية وقد أخذت تكشف عن النهار قناع الليل الأسود ، ولكن هيهات ! أن عليه أن يسعى وأن يجد وهو فى سعيه وجده ينطلق باحساس داخلى ، وقوة حيوية داخلية فيهجر أهله وأصحابه وخلانه ويمشى فى السهل والحزن ، ويصعد فى الجبال ، وتتراءى له وقد ارتفع فوق قمة أحد هذه الجبال : يرى الصورة التى انعكست فى لبه ماثلة أمامه ، ويرى الشكل الذى رآه بعين خياله وقد تمثل حيا أمامه . ثم تدعوه أن يتبعها وليكن خياله رائده ، فيسير بهديه وهمه فى هذا العالم المجهول ، ويقترب منها شيئا فشيئا وقد ازدادت تجاربه واستحصدت قوة رؤيته الفنية وقد أصبح قاب قوسين أو أدنى منها . ويهم بمعانقتها ولكن هيهات ! لا يلبث هذا الجهد المتصل والعناء الطويل أن يخلا بتوازن الشاعر فتزل قدمه ويخر صريعا من فوق الجبال .

هذه صورة رمزية فذة لجهاد الفنان فى سبيل الوصول الى الكمال تضارع أروع ما أنتجه شعراء الرمزية من الأوربيين . وهى تذكرنا بملحمة دانتى الخالدة التى رحل فيها خلال الجحيم والمطهر حتى وصل الى الفناء فى الصورة العليا . ولو أسلست اللغة قيادها لعبد الرحمن شكرى فارتفع عن ثرثرة بعض تعبيراته كهاج له أطماعه فى المجال وكأنه غير عزيز النوال وبين ذراعيه بأيد عجال لاستقامت صياغتها ودياجتها واحتلت مكانها بين القطع الأدبية الكبرى فى الأدب العربى .

وليس الشاعر شخصا شره العقل معذب النفس يهدف الى الكمال فحسب ولكنه شخص يمتاز بحساسية فائقة متنوعة . والى هذا يشير عبد الرحمن شكرى يقول فى مقدمة ج ٢ « ان روح الشاعر مثل آلة الغناء لابد أن تهيأ تهيأ خاصا لكل نغمة من النغمات فيقصر بعض الأوتار ويطال بعضها ويشد وتر ويرخى آخر » .

ويقول فى نص آخر أكثر دلالة : « وهو — أى الشاعر — هو الذى عواطفه مثل عواطف الوجود مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء أو النار أو الكهرباء ، وهو الذى يحاكى قلبه الأركسترا الكثير الآلات الكثير الأنغام — أليس الوجود أيضا أركسترا آلاته .. الناس وعواطفهم وأعمالهم ، الرياح والأمواج والطيور والحيوانات كذلك قلب الشاعر أركسترا آلاته العواطف . والشاعر رجل انفعالى فلا ينظم الشاعر الكبير الا فى نوبات انفعال عصبى فى أثنائها تغلى أساليب الشعر فى ذهنه فتتضارب العواطف فى قلبه ولكن تضاربه لا يزعج تبضه طيور الأنغام الشعرية التى تغرد فى ذهنه ثم تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل من غير تعمد منه لبعضها دون بعضها . أما فى غير هذه النوبات فالشعر الذى يصنعه يأتى فاتر العاطفة قليل الطلاوة والتأثير » .

ولو ضربنا صفحا عن التعبيرات الشعرية التى يعبر بها عبد الرحمن شكرى عن فكرته فان ملخصها أن الشاعر فيلسوف مثالى تشغله مشكلات

الوجود ويحاول أن يصل الى رأى فيها . والوجود بالنسبة اليه هو عواطف الطبيعة من أناس ومحسوسات . وتستقر فيه هذه العواطف أولا ثم تنتابه نوبات عصبية يخرج فيها التعبير عن هذه العواطف والأعمال .

وعهدنا بأن الشاعر شخص انفعالى يصاب بنوبات انفعالية عصبية عهد قديم يتردد الحديث عنها فى كتاب الأغانى فى الحديث عن الشعراء . بل ليست الفكرة مقصورة على شعراء العرب فحسب بل ربما كانت ملكا شائعا للشعوب السامية وخاصة فى الحديث عن شعراء الكتاب المقدس[1]؛ بل ربما كانت ملكا شائعا للشعوب القديمة كلها . ولكن الجديد فيها ان الشعر عملية داخلية فى نفس الشاعر فلا يوجد شيطان أو اله أو ملاك فيلقى اليه بما يجب أن يقول . ولكنه شخص خلق هكذا متوقد الفكر متوقد الاحساس يختزن تجاربه ثم تصيبه هذه النوبة فيعبر عما اختزن . وهذه الفكرة هى فكرة مدارس الشعر الأوربية المختلفة فى أوربا فى القرن التاسع عشر من رومانتيكية ورمزية وبرناسية وفنية وسيريالية وواقعية .

ولكن لا يكفى أن يخلق الشاعر هكذا وأن يتميز بين الناس بصفات خاصة بل لابد له من الاطلاع الدائم المستمر . والاطلاع شراب روح الشاعر وفيه ما يوقظ ملكاته ويحركها ويلقح ذهنه ، ونفس الشاعر ينبوع والاطلاع هو الآلة التى يرفع بها ماء ذلك الينبوع الى الأماكن العالية والشاعر فى حاجة الى محركات وبواعث . والاطلاع فيه كثير من هذه المحركات والبواعث والأديب الذى لا يقوم بالاطلاع كالماء الآسن العطن الذى لا يحركه محرك وانما عمل الشاعر فيما يطلع به عمل النحل فى قول أبى العلاء :

والنحل يجنى المر من نور الربى فيصير شهدا فى طريق رضابه

فالعالم الماهر يخرج من الجيد جيدا ولكن العبقرى يخرج من الردىء جيدا ، ولكن بعض القراء يقرأ على صحيفته ما قد قرأته بدل أن يخرج من أزهار ما قرأ شهدا . وهذا هو الفرق بين العبقرى وغيره من الناس »[2].

---

(1) Alfred Guillaume, Prophecy & Divination. Lecture III & V & VII.

(2) عبد الرحمن شكرى مقدمة ج ٣

وفى هذا نقد لشعراء عصره الذين جفف منابعهم عدم الاطلاع والقراءة وأصابهم ركود الخمول . ومفهوم الاطلاع مفهوم يختلف عن مفهومه لدى مثقفى هذا العصر فقد كان شغلهم أن يقرأوا كتب الدين والفقه . وكانوا يعرضون عن كتب الأدب . وكتب الدين — فى رأى عبد الرحمن شكرى — تبعث الفزع والخوف وتبعد الانسان عن التنبه لمواطن الجمال فى الحياة ، يقول فى اعترافاته « ثم تركت بعد ذلك قراءة كتب التعبد وجعلت أقرأ كتب الشعر والأدب فنطنت الى جمال الحياة وقلات مطالعتها من ذلك الفزع الذى كان باعثه الدين » .

لكن على أى شىء يجب أن يطلع الأديب؟ هنا يتحدث عبد الرحمن شكرى حديثا عاما شاملا عن حاجة الأديب الى الاطلاع على آداب الأمم الأخرى . فيقول « واذا قرأ الشاعر آداب الأمم الأخرى أكسبته قراءتها جدة فى معانيه وفتحت له أبواب التوليد . فان الشاعر الكبير — كى يعبر عما فى نفسه من العبقرية تمام التعبير حتى لا يبقى بعضها مكتوما مجهولا — لابد أن يجدد ذهنه دائما بالاطلاع وأن يحرك به نفسه وأن ينوع من ذلك الاطلاع . فان شره الاحساس والتفكير هو ميزة العبقرى . فان مذاهب القول التى تستلزمها حياتنا تقتضى درس آداب العناصر الأخرى التى عمرت العالم وأنشأت لها حضارة وعلوما وفنونا . فان درسها يوسع عقولنا ويجدد آمالنا وقوانا ويهيىء وحى ذكائنا ويعلى خيالنا . ولكن ينبغى ألا نكون ناقلين بل ينبغى أن نكون مفكرين باحثين فيها » .

ولكن هذا كلام لا يدل على الكثير فلم يحدد لنا نوع الثقافة التى يتطلبها أو على الأصح لم يحدد لنا على وجه الدقة مصادر الثقافة التى رجعت اليها مدرسته . فاذا ما انتقلنا الى أحد تلاميذ هذه المدرسة النابهين وهو خليل شيبوب وجدناه يقول فى مقدمة الفجر الأول « ان من يمعن فى الشعر الحديث نظرة استقصاء لابد له من التنبه الى أمر جلل وهو أن الناشىء الحاضر عامل على مجاراة المدنية الكسونية فى الترامى وراء العويص الشاذ من خيالها ومعانيها ، بينما كان الناشىء السابق يستوحى المدنية اللاتينية ويتقرب الى طرائق رجالها والشعراء منها ، ولا شك أن الشرقيين وغرائزهم ونزعة نفوسهم

الى شرود الخيال الذى تزنه الحكمة بمعيار الحياة حتى تدنى أقصى ما قصى منه ، لا شك أنهم بذلك أقرب الى محاكاة المدنية اللاتينية بما يحولونه منها الى لحمهم ودمهم لتستقل بذلك نفسيتهم وتبرز شخصيتهم . ولا يجهل المعنيون بهذه الاشارة أن المدنية السكسونية بنت المدنية اللاتينية وأن مذهبها فى الخيال قد نشأ فى فرنسا ثم عبر نهر الرين الى المانيا ومنها ركب البحر الى انجلترا لأن مبتدعيه برنار ومان بيير وجان جاك روسو وشاتوبريان وما فى هؤلاء من نظم تابعين . وقد استوهبهم اياه غوته العظيم وعنه أخذ بيرون وشالى وغيرهما . ولكن الآخذين تفردوا به لقوة طبيعة التحويل فى نفوسهم حتى كأنهم مبتدعوه ومن مدهشات التطور أن هذا المذهب بقى متابعا سيره حتى عاد الى مهده فرنسا مصطبغا بصبغة جديدة فتناوله لامارتين وموسيه وهوجو ومن نحا نحوهم . نعم لا وطن للفن ولكن لكل أمة ميزة عبقريتها ، لذلك ترى أن استقاء المذهب من منبعه أوفى بالحاجة منه وأتم انطباقا على طبائعنا وحياتنا الشرقية بما يلائمها ويتفق معها حتى يجيء الرقى حثيثا ويصقل الوضوح شعرا . انما عيبه اضطراب معانيه وبعده عن المألوف فى عيشتنا وأن ينظم الشاعر لأهل لغته من الأجيال الحاضرة والمقبلة » .

ومع ما فى هذا النص من خلط وأخطاء تاريخية عن نشأة الرومانتيكية وتداولها بين الأمم ، وما فيه من تقصير فى فهم مدلول الرومانتيكية والمذاهب التى ظهرت بعد ذلك مما يمثل مدى فهم هؤلاء الشعراء للمذاهب المختلفة الا أن فيه بيانا صريحا على أن معظم هؤلاء الشعراء كانوا يقرأون الانجليزية ويعتمدون عليها فى ثقافتهم .

ولكن ثقافة هذه المدرسة كما يجب أن نتصورها عقليا لابد أن تكون ذات شقين : أولهما ثقافة عربية وثانيهما ثقافة أوروبية . والاشارات التى يشيرها عبد الرحمن شكرى الى هذين النوعين من الثقافة غامضة ولا يعيننا خليل شيبوب على ذلك عونا كبيرا . فلننتقل الى كاتب آخر كان من تلاميذ هذه المدرسة هو وأخ له وتربيا فى أحضانها وان كان قد أنكر بعد أن أصبح شيئا مذكورا تلمذته على صاحبها . هذا هو العقاد .

يقول فى نص طويل فى آخر كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى » "الجيل الناشىء بعد شوقى كان وليد مدرسة أوغلت فى القراءة الانجليزية ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسى كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين فى أواخر القرن الغابر ، وهى على ايغالها فى قراءة الأدباء والشعراء الانجليز لم تنس الألمان والطليان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين . ولعلها استفادت من النقد الانجليزى قدر فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى . ولا أخطىء اذا قلت أن هازلت هو امام هذه المدرسة كلها فى النقد لأنه هو الذى هداها الى معانى الشعر والفنون وأغراض الكتابة الأخرى ومواضع المقارنة والاستشهاد ، وهذه المدرسة المصرية ليست مقلدة للأدب الانجليزى ولكنها مستفيدة منه مهتدية على ضيائه. ولقد كانت المدرسة الغالبة على الفكر الانجليزى بين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر هى المدرسة التى كانت معروفة عندهم بمدرسة البؤة والمجاز أو هى المدرسة التى تتألق بين نجومها أسماء كارليل وجون ستيوارت ميل وشيللى وبايرون ووردزورث ثم خلفتها مدرسة تجمع بين الواقعية والمجازية وهى مدرسة براونتج وتنيسون وامرسون ولونجفلد وبو وويتمان وهاردى وغيرهم ممن دونهم فى الدرجة والشهرة . وقد سرى من روح هؤلاء الشىء الكثير الى الشعراء المصريين الذين نشأوا بعد شوقى وزملائه ولكنه كان سريان التشابه فى المزاج واتجاه العصر كله ، ولم يكن تشابه التقليد والفناء أو هو سريان جاء من تشابه فى فهم رسالة الشعر والأدب لا من تشابه فيما عدا ذلك من تفصيل » .

وهذه دعوى عريضة تحاول أن تعطينا فكرة عن شعراء التجديد وقد أصبحوا شعراء عالميين يقرأون كل شىء ويبحثون فى كل شىء شأنهم فى ذلك شأن كبار شعراء الانسانية . وربما كان الأمر كذلك الا أن البحث الدقيق المستقصى فى هذا يثبت غير ما يقوله العقاد . والذى لا شك فيه أن من يملك ناصية لغة أوروبية حية راقية كالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية يستطيع أن يقرأ بها نتاج ما أبدعته عبقريات هذه اللغات جميعا مما يذكر العقاد . وربما كان صحيحا أن شعراء هذه المدرسة قد تأثروا بهازلت فى

كتاباته النقدية فهناك بعض الأفكار التي تشابه ما قد يقول به . ولكننا نشك شكا قويا في أن هؤلاء الشعراء قد قرأوا دواوين كاملة للشعراء الانجليز أو لغيرهم من شعراء اللغات الأخرى وأغلب الظن أنهم قرأوا منتخبات شعرية ككتاب الخزانة الذهبية [1] الذي جمعه فرانسيس بوجريف أستاذ الشعر بجامعة أكسفورد . وهي مجموعة من الشعر الغنائي الذاتي لشعراء الانجليز من عهد ما قبل شيكسبير الى نهاية القرن التاسع عشر وهو لا يذكر شيئا من شعر الملاحم أو الشعر التمثيلي . ومما يرجح لدينا هذا الرأي أن معظم ما ترجمه العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري من مقطوعات شعرية موجودة في هذه المجموعة . كما أن المفهوم الغربي الذي صدرت عنه هذه المجموعة هو نفسه مفهوم الشعر لدى هذه المدرسة . ونرجح أن ما قرأه أصحاب هذه المدرسة من أدب اللغات الأخرى كان منتخبات ترجمها المترجمون في عصور متباينة ان كانوا قد قرأوا شيئا منها على الاطلاق . فلا يبدو في ديوان عبد الرحمن شكري ما يدل أية دلالة على قراءة في أدب أوربي آخر .

والاشارات العامة الى قراءاتهم في الأدب العربي توحي بأنهم قد قرأوا من هذا الأدب نصوصا جاهلية واسلامية وعباسية . وهذه الاشارات كثيرة لدى عبد الرحمن شكري وكثيرة لدى العقاد .. ونحن لا نشك في أنهم قد قرأوا شيئا من الأدب الجاهلي والاسلامي ، ولكننا نشك شكا قويا في أنهم تعمقوا دراسة هذين العصرين فكل الأمثلة التي يوردها عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني للتدليل على آرائهم في اللغة ومفهوم الشعر أمثلة عباسية فهم يذكرون المتنبي وأبا العلاء والشريف الرضي وابن الرومي . ونحس في شعر بعضهم وبعض شعر عبد الرحمن شكري نفسه روح قصائد عباسية قد اشتهرت وأصبحت قطعا تاريخية في سجل الأدب .

---

(1) محمد مندور الشعر المصري بعد شوقي وقد ترجم مندور Golden Treasury بالكنز الذهبي والصحيح أن Treasury معناها الخزانة أو الصندوق الذي يحفظ فيه بالكنز . وتسمى وزارة الخزانة The Treasury بالانجليزية .

ولو قرأ هؤلاء شعر الجاهليين والأمويين لعرفوا أن معظم التعبيرات التى شغفوا بها تعبيرات قد سبق هؤلاء الشعراء اليها ولأحسوا احساسا أكثر عمقا باللغة وبتطورها ولاسمحت لهم اللغة وأعطت أكثر مما أعطتهم [1] .

ولا يكتفى عبد الرحمن شكرى بأن تقتصر ثقافة الأديب على ما يقرأ من أدب عربى وأدب أوربى مع ما فى هذه القراءة المنوعة من اتساع لأفق الشاعر والكاتب وفتح لمغاليق نفسه ووصلها بتجارب أمم وأجناس مختلفة ، ولكنه ينبه الى أن هذه التجربة التى تأتى من طريق الكلمة المكتوبة قد تكون تجربة جامدة . فهى تأتى عن طريق اللغة واللغة مع ما فيها من قدرة فى بعض الأحيان — وخاصة فى قلم الكاتب الكبير — على التعبير واعطاء ظلال مختلفة للتجربة الانسانية الا أن هذه الظلال كثيرا ما تتلاشى وكثيرا ما تخبو الشحنة العاطفية التى حملها الشاعر اياها وتصبح وسيلة لنقل الأفكار فحسب . وتصبح التجربة الانسانية تجربة فكرية مجردة . وهنا ينبه عبد الرحمن شكرى الى حاجة الأدباء الى نوع آخر من الثقافة يصلهم بالتجربة الحية المتيقظة وينتج للاديب أفكارا وصورا محتفظة بشحنها العاطفية ، يقول فى مقدمة ج ٣ « للشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه العواطف والمعانى الشعرية وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته ، وينبغى له أن يعود نفسه على البحث فى كل عاطفة من عواطف قلبه وكل دافع من دوافع نفسه لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبصر كل عاطفة جليلة شريفة فاضلة أو قبيحة مرذولة وضيعة » .

فى هذا النص نقد وتوجيه ، نقد لما كان عليه شعراء العصر من جمود وحياة رتيبة صامتة لا صلة بينها وبين ما يتيح للشاعر أن يجدد نفسه . وربما كان مصدر الفكرة ما قرأه عن حياة الشعراء فى القرن التاسع عشر وهى حياة مملوءة بالمغامرات والاندفاعات والبحث عن كل التجارب الحسية والروحية التى يستطيع الشاعر أن يحصل عليها . فكانوا يتعقبون مواطن الجمال الطبيعى والمثيرات العاطفية التى تثير انفعالهم حتى يروا الصور المختلفة للانسان

---

(1) محمد مندور — الشعر المصرى بعد شوقى .

فى تصرفاته والأشكال المختلفة التى تتخذها عواطفه وأفكاره . فرحل الشعراء الانجليز من بلادهم الى ايطاليا وسويسرا واليونان فرأوا مناظر جديدة والوانا من العواطف مختلفة . وكانوا يقومون بهذه الرحلات وكأنهم يكتشفون مجاهل جديدة فى أعماق الطبيعة والانسان . وفر الشعراء الألمان الى فرنسا هربا من القيود التى يفرضها عليهم نظامهم الاجتماعى والسياسى الى فرنسا وباريس حيث الحرية المطلقة والاندفاع المطلق حيث لا سدود ولا قيود . وهاجر بعض الشعراء والفنانين من أوربا جميعا الى مجاهل أفريقيا يبحثون عن الانسان البدائى الذى لم تفسده الطبيعة بحثا عن الألوان الجديدة والعواطف الانسانية الساذجة التى لم يفسدها سلطان العقل ولا تقييد الارادة . وعاش هؤلاء الأدباء فى بلادهم عيشة لا تؤمن بحرية الارادة وسلامة العقل ولكنها آمنت بأن العاطفة خيرة صادقة لا يمكن أن تؤدى بالانسان الى مواطن الهلاك .

والذى لا شك فيه ان هذه الحياة الموسيقية الشاعرية قد تتوفر للشاعر دون جهد منه ؛ فقد تكون ظروف مولده وظروف عصره وحياته ظروفا مثيرة لأشجانه وعواطفه كما كانت ظروف دانتى وشيكسبير والمتنبى وأبى العلاء وقد لا تكون وعند ذلك يحتاج الشاعر الى أن يقوم بجهد واع للاتصال بالحياة حتى تتيسر له القوى المجددة لعواطفه وانفعالاته . ويجب ألا يكتفى الشاعر بتلقى هذه التجارب بل يجب أن يعقل التجارب وأن يعيها وأن يفكر فيها حتى يستطيع أن يستفيد منها فى خلق بنائه الفنى .

واذا كان هذا هو تصور هذه المدرسة للشاعر شخصيته وثقافته وحياته فأى نوع من الشعر يجب أن يصدر عنه ؟ هنا يوجه السؤال الخالد فى النقد الى عبد الرحمن شكرى ومدرسته .. ما هو الشعر ؟ يقول عبد الرحمن شكرى فى قصيدة قصيرة فى الجزء الثانى من الديوان بعنوان شكرى شاعر :

قد طال نظمى للأشعار مقتدرا ... والقوم فى غفلة عنى وعن شانى
قد أولعوا بكبير السن أو رجل ... بنى له الجاه ما يعلو به الباني[1]

---

(1) يخيل إليه أنه ينقد شوقى فى هذه الأبيات .

ولو سئلت الى حيث القريض لقا ... بين الأثافى وربع المنزل الغانى
ولو سئلت فقلت الشعر فى خبر ... من السياسة فى زور وبهتان
ولو سئلت فقلت الشعر مبتذلا ... فى وصف مخترع أو ذم لزمان
لقيل نعم لعمرى أنت من رجل ... جم المحاسن من صدق وتبيان
وانما الشعر تصوير وتذكرة ... ومتعة وخيال غير خوان
وانما الشعر مرآة لغانية ... هى الحياة فمن سوء واحسان
وانما الشعر احساس بما شغفت ... له القلوب كأقدار وحدثان
قالوا أتيت بشعر كله بدع ... فقلت نعم لعمرى قولة الشانى
من كل معنى يروع الفهم طائله ... معنى من الجان فى لفظ من الجان
من كل معنى كموج البحر مطرد ... جم الجلال فلولا الله أعيانى
هذى المعانى تناجيهم فما لهم ... لا ينصتون بأفهام واذهان
متى يتاح لهم شاد بما رقصت ... له القلوب وتحنان كتحنان
هل فى أكابرهم رد لذى أدب ... من كف كل حديث الكف فنان

بعد أن يهاجم شكرى الشعراء فى عصره والموضوعات التى يتحدثون فيها من بكاء على الديار ووقوف عليها وحديث عن السياسة والأشخاص يبدأ فى تعريف الشعر . والشعر لديه تصوير لما تراه الحواس وتذكرة بما رأت وامتاع للأرواح وخيال دقيق لا يضل . والشعر مرآة غانية تنقل صورة صادقة للحياة بما فيها من شر وخير . والشعر تعبير عن القلوب واحساساتها بما يحدث فى الحياة وما يصيب به القدر الناس . والشاعر مغن يشدو بما فى قلوب الناس جميعا .

ولكن هذا الكلام مع ما فيه من جمال كلام غامض لا يصور لنا شيئا دقيقا نحسه ونلمسه وهو يثير المشكلات ولا يحلها وان كانت تبدو فيه بذور نظرية جديدة . فالشعر فى نظره تصوير لانفعالات النفس بالحياة بكل ما فيها ، ولكن ما هى الحياة وكيف يصورها الشعر ؟ لنستمع الى قصيدة أخرى فى الجزء الثالث . يقول ص ١٦ قصيدة « الشعر والطبيعة » :

اذا غنت الأطيار فى الأيك صدحا ... تغنت لأشجان الفؤاد طيور
وللريح هبات وللنفس مثلها ... تغنى رضاء فيهما ودبور
وما الشعر الا القلب هاج وجيبه ... وما الشعر الا أن يثير مثير
نرى فى سماء النفس ما فى سمائنا ... ونبصر فيها البدر وهو منير
وما النفس الا كالطبيعة وجهها ... رياض وأضواء بها وبحور
وفيها صراخ اليم ان ماج موجه ... وفيها خرير خافت وغدير
وليل وأصباح لها وكواكب ... تسير بآفاق لها وتدور
اذا كنت فوق الروض فالقلب طائر ... يغنى على أغصانه ويطير
وان كنت فوق البحر فالقلب موجة ... تسرب فى أمواجه وتسير
وان كنت فوق الشم فالقلب نسرها ... وللنسر فى شم الجبال وكور
وتنثر أغصان الخريف زهورها ... كما جاد بالشعر الجليل شعور
فيا قوم ما للجهل ملء عيونكم ... ألستم ترون الدائرات تدور
لبستم على الأيام ثوب مذلة ... فكيف بنضو الثوب وهو نضير
اذا صاح ذاك الغير فيكم صياحه ... طربتم وقلتم شاعر وكبير
ويزعجكم أن الطيور هوازج ... ويطربكم أن الغناء نعير
أصاب ذكاى منكم برد طبعكم ... وأطفأ منى القلب وهو قدير
ويصدأ طبعى فى خبيث هوائكم ... وجوكم بالذاهبات يمور
فلا تحسبوا أنى أقول لتسمعوا ... ولا أن مثلى بالقنوط جدير
وماذا يفيد الشعر والقلب ميت ... وهل للنفوس الهامدات نشور
اذا كان يحيى الشعر نفسا مريضة ... فهيهات تحيا النفس وهى قبور

هذه صورة رمزية عن الشعر فالشعر تعبير عن النفس . والنفس كالطبيعة . والنفس تغنى كما تغنى الطيور فى الطبيعة وتعزف الريح بها كما تعزف بالطبيعة ثائرة مرة وهينة مرة أخرى ، وتشرق النفس كما تنير السماء عند ما يشرق البدر فيها . وفى النفس ما فى الطبيعة من جمال الرياض والأضواء وما فيها من عويل وصراخ عند ما يصطخب الريح ويعتو ، وفيها أيضا هذه الموسيقى الهينة الليّنة موسيقى الحرير الخافت . فالنفس كالطبيعة والشعر تعبير

عن هذه النفس المضطربة التي تنفعل انفعال الطبيعة . ولكن أتكون الحياة هي توقيعات هذه الطبيعة ؟ أتكون حقائقها هي حقائق هذه الطبيعة التي نراها في أشكال مختلفة وصور متباينة تائرة مرة وخافتة ساكنة مرة أخرى ؟ أهذه هي المشكلة الكبرى التي شغلت عبد الرحمن شكري في شعره ؟ لنقرأ قصيدة أخرى في الجزء الأول عنوانها « الشعر » :

ان النفوس صحائف ... الشعر من آياتها
والنفس طير صادح ... والسحر في نغماتها
لو راع كر الدهر شيء ... ربيع من نبراتها
فترى الحياة قنيصة ... في الشعر من عقداتها
والعيش نهزة شاعر ... يقتص من ملكاتها
والشعر تاريخ النفوس ومعقل لحياتها
والشعر كأس للنفوس ... حذار من نشواتها
والشعر ورد يانع ... غرسته في جنباتها
والنفس ريح قد هفت ... بالشعر من نفحاتها
والنفس طورا كالسموم ... تروع في لفحاتها
والنفس بحر زاخر ... والشعر من موجاتها
والنفس طير في الحياة ... يطير في روضاتها
في أرضها وسمائها ... غرد وفي جنباتها
ان القلوب خوافق ... والشعر من نبضاتها
فترى الحياة بجمعها ... منشورة بصفاتها
والشعر مرآة الحياة ... تطل في مرآتها
تجلو أساليب الحياة ... تلوح في صفحاتها
فتراه في آلامها ... وتراه في لذاتها
والشعر في عبراتها ... والشعر في ضحكاتها
وهو المعين على الحياة ... يفض من نكباتها
والشعر نور ساطع ... عاد على ظلماتها
ويصوغ من ألم النفوس اللحن في أناتها

ويضيء كل جريمة فيبين عن غاياتها
فهو الخبير بما يحث النفس فى فعلاتها
للنفس نشوة راقص والشعر من رقصاتها
للنفس همسة ساحر والشعر من نغماتها
فى كل نفس منزل للشعر من حركاتها
فى الطفل والرجل الكبير يجول فى حالاتها
وتراه فى فتياتها وتراه فى فتياتها
فى حزنها وسرورها وطموحها وشكاتها
والشعر نغمة صادح والنفس من آلاتها
أشجانها أوتارها والشعر من رناتها
ولكل شىء مبعث للنفس من رقداتها
والشعر كالالهام يأ تى النفس فى يقظاتها
والكون آية شاعر يأتى بمبتكراتها

فى هذه القصيدة يضع عبد الرحمن شكرى المشكلة كاملة تحت أعيننا . فليست الطبيعة هى الحياة وانما هى جزء منها . وانما الحياة أساليب مختلفة وأشياء مختلفة فيها آلام وفيها لذات وفيها عبرات وفيها ضحكات وفيها نور وفيها ظلمات . وكل هذه الأشياء توقع أنغامها فى النفس فتنفعل لها النفس انفعالا مناسبا ويجيش فيها الشعر فيخرج تعبيرا عن هذه الانفعالات . وهذه المثيرات التى تثير نفس الشاعر هى نفسها المثيرات التى تثير أنفس الناس جميعا ، ومن هنا كان التعبير تعبيرا انسانيا عاما . يقول فى مقدمة الجزء الثالث « والحياة فى نظر الشاعر الذى يعيش لفنه الجليل قصيدة رائعة تختلف أنغامها باختلاف حالاتها ، ففيها نغمة البؤس والشقاء وفيها نغمة النعيم والجذل وفيها أنغام الحقد واللؤم والشر والندم واليأس والكره والغيرة والحسد والمكر والقسوة وأنغام الرحمة والجود والأمل والرضا والحب . فالشاعر الكبير هو الذى يعرف كيف يقتبس من هذه الحالات أنغامها ويوقعها شعرا . وهو الذى عواطفه مثل عواطف الوجود مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء

أو النار أو الكهرباء . وهو الذى يحاكى قلبه الأركستر الكبير الآلات الكثير الأنغام . أليس الوجود أيضا أركستر آلاته الناس وعواطفهم وأعمالهم والرياح والأمواج والطيور والحيوانات » .

الشعر اذن تعبير عن حالات النفس المختلفة . هو تعبير عن الوجدان . وقد قال :

ألا يا طائر الفردوس ان الشعر وجدان

وهذه دعوى خطيرة فى تاريخ الأدب اذ أنها ترفض جميع أنواع الشعر الموضوعى من ملاحم وتمثيليات ولا تعترف الا بالشعر الغنائى . وقد اعترف عبد الرحمن شكرى بذلك اذ يقول فى مقدمة الجزء الخامس من الديوان : « ولشعر العواطف رنة ونغمة لا تجدها فى غيره من أصناف الشعر وسيأتى يوم من الأيام يفيق الناس فيه الى أنه الشعر ولا شعر غيره » . الشعر نغم مطلق يعبر عن النفس الانسانية فى حالاتها المختلفة شأنه فى ذلك شأن الموسيقى :

انما الشعر نغمة كحنين المزامر

ولكن ما يقول عبد الرحمن فى الالياذة والاوديسا لهوميروس والانيادة لفرجيل أو الكوميديا الالهية لدانتى . والفردوس المفقود لملتن؟ وما يقول فى مسرحيات صفوكليس ويوريبيديس وارسطوفانيس وكورنى وراسين وموليير وشيكسبير وكل ما أنتجته العبقريات الفذة فى تاريخ الانسانية الطويل ؟ أليس هذا شعرا ؟ ولم يكن هذا التصور فى فهم الشعر شيئا جديدا أحدثه عبد الرحمن شكرى ، ولكنه كان مفهوم الشعر لدى المدرسة أو المدارس التى أخذ عنها من مدارس القرن التاسع عشر . فقد كان مفهوم الأدب يتغير لدى هذه المدارس بتغير تحمسهم لنوع خاص من الأدب . وليس يعنى هذا ان هذه المدارس الأوروبية لم تعالج أنواع الأدب المختلفة من شعر غنائى وتمثيلى وملحمى وقصة ورواية وغير ذلك ولكنها لم تكن تقبل الا نوعا واحدا من هذه على أنه الأدب الحقيقى .

والسؤال الثانى الذى يحتل مكانة أساسية فى أية نظرية للأدب هو ما هى وظيفة الشعر ؟ ويصدر هذا السؤال عن مفهوم عميق لمعنى الجهد الانسانى . فلا يوجد مجهود انسانى ليس له هدف عميق فى حياتها أفرادا أو جماعات والا كان الجهد الذى تبذله عبثا لا طائل منه . فما هى وظيفة الشعر ؟

يقول عبد الرحمن شكرى فى مطلع مقدمة الجزء الرابع « أن وظيفة الشاعر فى الابانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره . والشعر يرجع الى طبيعة التأليف بين الحقائق ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون الشاعر بعيد النظرة غير آخذ وراء المظاهر مأخذه نور الحق . فيميز بين معانى الحياة التى تعرفها العامة وأهل الغفلة وبين معانى الحياة التى يوحى اليه بها الأبد . وكل شاعر عبقرى خليق بأن يدعى متنبئا ، أليس هو الذى يرى مجاهل الأبد بعين العقل فيكشف عنها غطاء الظلام ويريئا من الأشعار الجليلة ما يهابها الناس فتغرى به أهل القسوة والجهل ؟ » .

والأدب كما تصوره عبد الرحمن شكرى هو مجموع عواطف الناس وأفعالهم وأعمالهم وظواهر الطبيعة المختلفة . ويتكون مفهومنا عن هذا الوجود من مجموعة الايقاعات التى توقعها هذه المظاهر فى نفوسنا . ولكن السؤال الهام هو لم تنظم هذه الايقاعات المختلفة وتخرجها للناس شعرا ؟ ولم يهتم أو يجب أن يهتم الناس بهذا الشعر ؟ فلنتبعه فى شعره لعلنا نجد جواباعن هذا السؤال . يقول فى قصيدة فى الجزء الرابع :

انما الشعر فى الحياة كمنظار ناظر
يصف الناس كلهم من تقى وفاجر
يشعر المرء حالهم من صروف المقادر
يرفع النفس سحره عن وهاد الحقائر
لسماء العظائم عن حضيض الصغائر
فهو دين لطامح من مصيب وعاثر
يصف العيش فى الكمال عديم المحاذر

فيحن الورى اليه حنين المسافر
فيه اغراء وارد وبه حث صادر
يجعل اليأس والطموح دواء المغامر
يدفع النفس بالخيال لورد المآثر
يبلغ النفس أفقها كجناح لطائر
لا تقاس النفوس بالمال فى ذخر ذاخر
وهو دين الضمائر لا مقال المثابر
يفتح النفس ضوؤه مثل ضوء التباشر
مثلما يفتح الصباح زهى الأزاهر
يلقح النفس ولكن رب نفس كعاقر

فى هذه القصيدة يشرح لنا وظيفة الشعر على أنها التعبير عن الحياة حتى نستطيع أن نعرف ما فيها من طموح وتراجع وخير وشر وكمال وقبح وهو يغنى النفس بهذه المعرفة عن الحياة . أتكون هذه الوظيفة اخلاقية ؟ أيكون هدف الشعر أن يبين لنا محاسن الحياة فنقبل عليها أو مساوءها فنرفضها ؟ ولكن هذا الاتجاه يتعارض مع السياق العام لنظريته ، فاذا كان هذا هكذا لكان شعر المدح أولى بأن يبين للناس ما يجب أن تكون عليه أخلاقهم وأعمالهم حتى يصيروا من عظماء الرجال ، ومثل هذا الشعر رفضه عبد الرحمن رفضا باتا . أفتكون مجرد المعرفة حتى تستطيع النفس أن تبلغ كمالها من طريق الاتصال بالعالم حولها ؟ ذلك أجدر بأن يكون تفكير عبد الرحمن شكرى .

ولكن لم يقول الشاعر الشعر ؟ عن هذه النقطة يسكت عبد الرحمن شكرى مع أهميتها الضخمة فى فهم وظيفة الشعر . فلابد أن تكون للشعر الوجدانى وظيفة بالنسبة لكاتبه والا فما حاجته لكتابته ، كما لابد أن تكون له وظيفة بالنسبة للجمهور الذى يتلقى هذا الشعر . وقد تكون المعرفة الوجدانية فى حد ذاتها سببا فى اقبال الناس على قراءة الشعر الوجدانى ، ولكن ما الذى يدعو الشاعر الى أن يكتب . أما وقد سكت عبد الرحمن فليكن دليلنا على هذا

نصا من أحد تلاميذ هذه المدرسة . وهنا نذهب الى الفجر الأول فنرى صاحبه [1] يقول فى مقدمة ديوانه « وبعد فهذا شعر نظمته لأروض به نفسى فى خلواتى وأرضيها بما يجدد بهجتها فى أفراحها أو يسليها همومها فى اتراحها فان أحسنت فلى أو أسأت فعلى . وفى هذا الشعر ما فيه من تردد الضعف وذهول الحيرة وتنفس الصعداء غير أن الاخلاص شفيع له وكفى بالشاعر بؤسا أن يرمى بقلبه الى الناس وأن يطرح بين يدى الجمهور خاصة حسه ويزهدونه فى يومه وأمسه فلغير هؤلاء ينظم الشعر والله ولى الأمر » .

هنا يبدو أن الشاعر يرى أن وظيفة الشعر هى مجرد اخراج هذه الطاقة المختزنة فى النفس الانسانية والتخلص منها ، ولكن لم يهتم الناس بطاقة انسانية شخصية ولم يهتم الشاعر بأن يخرج هذه الطاقة منغمة موسيقية مطربة ، ولماذا يهتم الناس بما يكشف لهم الشاعر من حقائق منغمة موسيقية ؟ أتكون هناك حاجات نفسية ثابتة يصدر عنها الشعر وهى عميقة الأغوار فى نفس الانسان . وهنا تصمت المدرسة جميعا فلا تكشف شيئا . فلنلتمس اذن شرح هذه الوظيفة لدى شخص آخر يصدر شعره عن نفس المفهوم الشعرى الذى صدر عنه شعر شكرى وأصحابه . وسيكون الغربال لميخائيل نعيمة هو مرجعنا هذه المرة وسنراه يتحدث حديثا صريحا عن وظيفة الشعر على أنها تعبير عن حاجات نفسية ثابتة وهذه الحاجات هى [2] :

(أولا) حاجتنا الى الافصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية من رجاء ويأس وتوتر وفشل وايمان وشك وحب وكره ولذة وألم وحزن وفرح وخوف وطمأنينة وكل ما يتراوح بين أقصى هذه العوامل وأدناها من الانفعالات والتأثرات .

(ثانيا) حاجتنا الى نور نهتدى به فى الحياة وليس من نور نهتدى به غير نور الحقيقة حقيقة ما فى أنفسنا وحقيقة ما فى العالم من حولنا ، ونحن

---

(١) خليل شيبوب .

(٢) لخص منظور فى كتابه الشعر المصرى بعد شوقى ما جاء فى الغربال فى هذه النقط الأربع .

ان اختلف فهمنا عن الحقيقة لسنا ننكر أن فى الحياة ما كان حقيقة فى عهد آدم ولا يزال حقيقة حتى اليوم وسيبقى حقيقة فى آخر الدهر .

(ثالثا) حاجتنا الى الجميل فى كل شىء ففى الروح عطش لا ينطفىء الى الجمال وكل ما فيه مظهر من مظاهر الجمال . فاننا وان تضاربت أذواقنا فيما نحسبه جميلا ونحسبه قبيحا لا يمكننا التعامى عن أن فى الحياة جمالا مطلقا لا يختلف فيه ذوقان .

(رابعا) حاجتنا الى الموسيقى ففى الروح ميل عجيب الى الأصوات والألحان لا تدرك كنهه فهى تهز لقصف الرعد وخرير الماء وحفيف الأوراق لكنها تتكمش من الأصوات المتنافرة وتأنس وتنبسط بما تألف منها .

هذا هو مفهوم الشعر لدى هذه المدرسة . ومن هذا نرى أنه مفهوم يختلف عن مفهومه فى عصور الأدب العربى المختلفة . فلم يعد الشعر تعبيرا عن أعمال مجيدة قامت بها قبيلة أو قام بها فرد . ولم يعد تسجيلا لأحداث يفتخر بها أفراد القبيلة حتى تسير مع الركبان وتكون حديث الدهور . ولم يعد تعبيرا سياسيا أو دينيا يتحمس للأمويين على العلويين أو للخوارج على المرجئة . ولم يعد شعرا تسمر به المجالس ويتناول أحداثا جزئية من أحداث الحياة . ولم تعد وظيفته أن يكون سجلا يحفظ وقائع العرب كما كان فى الجاهلية أو يقوم مقام الخطابة والصحافة كما كان أيام النبى وأيام الأمويين . ولم يعد وسيلة لارضاء كبرياء الولاة والأمراء والخلفاء والتماسا لعطائهم كما كان عند العباسيين . وانما أصبح تعبيرا ذاتيا عن احساسات انسانية تجاه عواطف انسانية عامة لا صلة بينها وبين حادث معين أو واقعة معينة أو شعب معين أو جنس معين أو جيل معين . وأصبحت وظيفته هى ارضاء حاجات نفسية ثابتة فى طبيعة النفس الانسانية سواء أكانت نفس أمير أم صعلوك . هذا هو المفهوم الجديد للأدب . وقد طبقه عبد الرحمن شكرى على شعره تطبيقا دقيقا فلا تكاد تجد له فى ديوانه قصيدة قالها فى مناسبة الا النذر القليل . وتبعه شعراء الاسكندرية الآخرون فلم يشغلهم شعر المناسبات عن شعر الوجدان .

ولكن التعبير عن العواطف لابد أن يتم من طريق اللغة . فاللغة هى المادة التى ينحت منها الشاعر صوره كما ينحت المثال صورته من الحجر والموسيقى من الأنغام والرسام صورته من الألوان . واللغة الشعرية قوالب هى الأوزان وللأوزان قيود هى القوافى . أما عن اللغة فلم يشر عبد الرحمن شكرى أو غيره الا الى تبسيطها والرجوع بها الى عهدها الأول عند ما كانت معبرة تعبيراً صادقا لا تعمل فيه ولا تصنع . أما فى التطبيق فقد استعمل الرمز وفعل غيره مثله . أما عن الوزن فلم يتعرض صاحب المدرسة له بقليل أو كثير بل احتفظ بالأشكال القديمة وصب فيها مادته الجديدة ، ولكن تعرض لها شاعر آخر من شعراء الاسكندرية هو خليل شيبوب ، أما القافية فقد زاوج فيها وأرسل . وسنعالج كلا منها معالجة تفصيلية ولنبدأ باللغة . ولكى نفهم حقيقة اللغة التى استعملها عبد الرحمن شكرى نقرأ قصيدة من شعره اسمها حلم البعث ج ٣ ص ٣١ :

رأيت فى النوم انى رهن مظلمة ... من المقابر ميتا حوله رمم
ناء عن الناس لا صوت فيزعجنى ... ولا طموح ولا حلم ولا كلم
مطهر من عيوب العيش قاطبة ... فليس يطرقنى هم ولا الم
ولست أشقى لأمر لست أعرفه ... ولست أسعى لعيش شأنه العدم
فلا بكاء ولا ضحك ولا أمل ... ولا ضمير ولا يأس ولا ندم
والموت أطهر من خبث الحياة وان ... راعت مظاهره الأحداث والظلم
ما زلت فى اللحد ميتا ليس يلحقنى ... نبح العدو ونبى عن نبحه صمم
مرت على قرون لست أحفظها ... عبرا كان مر بى الآباد والقدم
حتى بعثت على نفخ الملائك فى ... أبواقهم وتنادت تلكم الرمم
وقام حولى من الأموات زعنفة ... هوجاء كالليل جم لجه عرم
فذاك يبحث عن عين له فقدت ... وتلك تعوزها الأصداغ واللمم
وذاك يمشى على رجل بلا قدم ... وذاك غضبان لا ساق ولا قدم
ورب غاصب رأس ليس صاحبه ... وصاحب الرأس يبكيه ويختصم
ويبحثون عن المرآة تخبرهم ... عن قبح ما تترك الأحداث والعدم
جاءت ملائكة باللحم تعرضه ... ليلبس اللحم من أضلاعنا الوضم

وقدت مستشعرا نوما لاوهمهم ... انى عن البعث فى نوم وفى صمم
فأعجلونى وقالوا قم فلا كسل ... منجى من البعث ان الله محتكم
قد مت مت فى خير وفى دعة ... وقد بعثت فماذا ينفع الندم
أستغفر الله من لغو ومن عبث ... ومن جناية ما يأتى به الكلم

هذه الرؤيا التى رآها عبد الرحمن شكرى فى وجدانه تذكرنا بالرؤيا الخالدة التى رآها الشاعر دانتى عند ما قام برحلته خلال الجحيم والمطهر والجنة . وهذه الصورة التى يعرضها عبد الرحمن صورة فذة ربما لا نجد لها نظيرا فى الأدب العربى فلم يستطع أبو العلاء فى رسالته عن الغفران أن يضع لنا صورة حية قوية نابضة كهذه الصورة . والصورة التى يعرضها عبد الرحمن هى صورة اليأس الشديد وتفضيل الفناء المطلق على حياة فانية . والموت سكرن ودعة وبعد عن الحياة الصاخبة بما فيها من حقد ولؤم ، ولذا فهو يتصام عند ما يسمع صوت نفير البعث فاذا ما أجبر على القيام فسيرى صورة من الحياة التى كرهها بما فيها من تكالب وسرقة ونهب واغتصاب . وتأتى الملائكة وقد جمعت أشلاء من اللحم تعطى كلا نصيبه منها حتى يغطى عظامه . وهذه الصورة المرعبة صورة تدل على ثورة نفسية وتمرد وشك فى قيمة الحياة وسخرية منها . هذا تعبير رمزى عن الثورة النفسية وديوانه مجموعة من هذه الرموز . فما هو الرمز [1] ؟ الرمز هو التعبير عن التجربة بالصور وهو فى شكله المبسط استعارة متوسع فيها . فاذا قال عبد الرحمن شكرى ان الموت خير من الحياة وأن البعث لن يكون الا صورة متكررة من هذه الحياة التى نحياها . فان تعبيره يكون عاديا ولكنه عبر عن هذا المعنى بصورة الموت الوادعة وقد تبعتها حياة البعث بما فيها من صور بشعة . والتعبير الرمزى هذا له أصوله الفلسفية والنفسية عن العالم الخارجى وعن عالمنا النفسى ، كما أن له أصولا ترجع الى فهم معين للغة ووظيفتها ، فالرمزيون

---

(1) يراجع محمد مندور المذاهب الأدبية فصل الرمزية ، ويقرأ :
Dorothy L. Sayers : The Comedy of Dante Alighiere the Florentine, Hell-introduction. p. 11.

يؤمنون من الناحية الفلسفية بأن حقائق الحياة لا يمكن أن تدرك فى ذاتها وانما تدرك ظواهرها الخارجية فحسب والا وجود للاشياء الا فى مداركنا نحن . وهذه المدركات موجودة فى العقل الواعى ووراء هذا العقل الواعى عقل آخر غير واعى وهو العقل الباطن واللغة صلة بين ادراكنا والعالم الخارجى ، فاذا صح أن العالم الخارجى لا وجود له خارج الذهن البشرى ولا يتمثل الوجود الا فى الصور التى ندركها عن هذا العالم فقد أنكر الشعراء على اللغة قدرتها على أن تنقل الينا حقائق الأشياء وذهبوا الى أنها لا تعدو أن تكون رموزا تثير الصور الذهنية التى تلقيناها من الخارج أو كوناها من الجمع بين أشتات من الصور التى تلقيناها من ذلك الخارج . وعلى هذا الأساس لا تصبح اللغة وسيلة لنقل المعانى المحددة أو الصور المرسومة الأبعاد وانما تصبح وسيلة للايحاء . ولما كانت وظيفة الأدب هى توليد المشاركة الوجدانية بين الكاتب والقارىء فقد قالوا بأن الأدب لا يسعى الى نقل المعانى والصور المحددة وانما يسعى الى نشر العدوى ونقل حالات نفسية من الكاتب الى القارىء أو على الأصح الايحاء بها وبالتالى لا يسعى الأدب أو الشعر الرمزى الا الى نقل وقع الأشياء الخارجية أو الداخلية من نفس الى نفس .

أما الناحية الثانية فهى الوزن . والوزن مشكلة خطيرة أساسية فى الشعر فمع انكار بعض المدارس الشعرية لقيمته واعتباره عرضا لا يتصل بجوهر الشعر الا أن هذه المدارس لم يكتب لها النجاح ولا تزال تتسكع فى تاريخ الأدب دون أن يعيرها الجمهور الفنى التفاتا . والوزن هو مجموعة من الايقاعات تتردد بنسب دقيقة متساوية فيحدث مجموعها نغما . ولا يعرف أحد متى أنشئت هذه الأوزان وكيف نشأت . ولا نريد أن ندخل هنا فى تفصيل هذه المشكلة ، ولكن الذى يهمنا هو أن كل وزن فى اللغة يختص بمجموعة من التعبيرات والتأليفات اللغوية لا يستطيع الشاعر أن يتخلص منها الا اذا أوتى مقدرة خارقة فى اللغة . وكلما امتد تاريخ اللغة وكثر شعراؤها صعب على الشاعر الجديد أن يعبر عن نفسه فى هذه الأوزان ويتخلص من التعبيرات القديمة التى قد تؤدى الى اتهامه بالتقليد . وهذا — فى واقع الأمر — هو الذى جعل كثيرا من النقاد يتهمون البارودى وشوقى بالتقليد ، فالذى لا شك

فيه ان هؤلاء الشعراء قد عالجوا موضوعات جديدة تتصل بعصرهم وتتصل بما جد فى بيئاتهم من احداث ولكنهم ما يكادون يبدأون قصيدتهم حتى تتوارد على أذهانهم التعبيرات اللغوية التى تتصل بهذا الوزن والتى قرأوها فيما قرأوا من شعر كبار الشعراء وهم فى اللغة العربية كثيرون . ومع أن عبد الرحمن شكرى قد ابتدع لنفسه لغة جديدة يعبر بها عن أفكاره وهى لغة الرمز وقد اتجاه هذا من اتهام النقاد له بأنه مقلد الا أنه لم ينج من استعمال التعبيرات القديمة حتى لنكاد نحس فى بعض قصائده وهى جديدة فى مادتها أنه يقلد القدماء ، ولكن يظهر ان المشكلة لم تكن ذات أهمية كبيرة فى نظره واكتفى بلغة الصور هليه التى استعملها . والشاعر الذى أحس بهذه المشكلة احساسا قويا وقام فيها بمحاولات هو خليل شيبوب . فقد حاول ما تحاوله الأوربيون من كتابة قصيدة فى وزن من الأوزان يبدو الوزن فى بعض أبياتها كاملا وفى بعضها مجزوءا ، وكتب قصائد أخرى خلط فيها بين الأوزان . يقول تعليقا على قصيدة الشراع وهى قصيدة لم تنشر [1] « الشعر المطلق أو الشعر الحر غير الشعر المنثور لأن نثر الشعر انما هو افتعاله من قيود الوزن والقافية فان حفظت القافية صار هذا الشعر نثرا مسجعا وكتبنا الأدبية طافحة بالنثر المسجع أما الشعر المطلق فمذهبه فى الاحتفاظ بالوزن فقط ، أما القافية فقد اختلفوا فى ابقائها أو اغفالها وقد آثرنا ابقاءها فى هذه القصيدة وان كل شطر من هذه القصيدة يرجع الى مثله من بحور الشعر أو من مجزوئها . وقد تنفر الأذن من مثل هذه القصيدة فى بادىء الأمر من تناكر الأوزان والتفاعيل ولكن من يتلو القصيدة مرتين لا يلبث أن ترتجع أذنه بحكم التكرار نغمة الوزن المفقودة . وفى هذه القصيدة أبيات تامة أوحتها المناسبة » . والقصيدة هى :

جلست ذات مساء مرسلا بصرى
الى هـذه الآفـاق وهـى بوامـم

---

[1] أخذت هذه القصيدة من الأستاذ صديق شيبوب الذى يصل بجريدة البصير وهو قريب الشاعر ولا زالت القصيدة مخطوطة .

وتوقد النـــار فى عزى وفى فـكرى
عواطف صـدرى انهـــن مضـــارم
هدأ البحـر رحيا يملأ العين جلالا
وصفا الأفق ومالت شمسه ترنو دلالا
وبدا فيـــه شـــراع
كخيـــال مـــن بعيـــد يتمـــشى
فى بـــاط مـــائج مـــن نسج عشب
أو حمام لم يجد فى الروض عشـــا
فهـــو فى خـــوف ورعـــب
أنـــه غيمـــة ســـرت فى سمـــاء
قـــد صفـــت زرقتهـــا
لـكنمـــا هـــذا صبـــاح طـــائر
مـــرفـــرف فى ملعـــب الضيـــاء
يجـــر زورقـــا عـــلى الدأمـــاء
والشمس فى الأفق بدت صفحتهـــا
أكـــبر ياقوتة كـــنز فاخـــر
وقفـــت وراء غمـــامة بيضـــاء
شفـــافة كالبرقـــع الشفـــاف
سكبـــت أشعـــة نورهـــا فى المـــاء
فكأنهـــا عمـــد العقيـــق طـــوافى
حملـــت قصـــور مدينـــة غنـــاء
منهـــا بـــواد فى الـنـــا وخـــوافى
والنـــار شاملـــة لـكل بنـــاء
متوقـــد خلـــف الغمـــام الصـــافى
ترسـل العـــين لحظهـــا لاختـــراق
ذلك الغـــيم وهـــو فى ابـــراق
شاهـــد حـــال بلـــدة فى احتـــراق

نـــزلت شمس المســـاء
فى مجـــالى الخيـــلاء
تتهادى كعروس لبست ثوب الحياء
أشبعتها فى المـــاء حيات عقيـــان
قد انبن فيـــه لاعبـــات الى آن

ولست أدرى ما القول فى هذه المحاولة ، ولكن الذى لا شك فيه انها محاولة تصدر عن فهم حقيقى لمعنى الوزن . فليس الوزن كمية معينة لهذه الايقاعات ولكنه هو الايقاعات نفسها . والذى ينقرها من مثل هذه المحاولات — وقد كان حقا ما لاحظه — هو تجاربنا الطويلة فى الوزن الغربى على شكله القديم ودراساتنا الطويلة لهذه الأشكال القديمة ، فمثل هذه المحاولات تنقلنا الى جو لم نتعود عليه ، كما أن الترديد لكمية معينة من التوقيعات طبيعة شرقية تبدو فى أغانينا ونطرب لها أشد الطرب ونتوقع ورودها دائما . والخروج بنا عن هذا خروج بنا عما الفناه . ولكن فى هذا التنويع تجديدا لنشاطنا النفسى حتى لا تقع نفوسنا تحت تأثير مخدر الوزن فتغفل عما فى القصيدة من ايحاءات وايماءات .

والقافية احدى هذه القيود الشعرية التى عرفها الشعر العربى فى تاريخه القديم ، وقد رماها المجددون بتهم كثيرة وعزوا انصراف الشعراء الغرب عن الشعر التقليدى اليها وكانت أول القيود التى ثاروا عليها . وقد نظم عبد الرحمن شكرى قصائد كثيرة متخلصا فيها من هذا القيد يقول فى قصيدة مرسلة فى الجزء الأول ص ٧٠ :

خليلى والأخـــاء الى جفـــاء ... اذا لم يغـــذه الشوق الصحيح
يقولون الصحاب ثمار صدق ... وقد تبلو المرارة فى الثمـــار
شكوت الى الزمان بنى اخائى ... فجاء بك الزمان كما أريد
أرانى قد ظفرت بذى وفاء ... له خلق يضيق عن الريـــاء
أظل اذا رأيتك مستفزا ... كأنى قد جرعت من العقار

يؤم بى العلاء أخ وجيف ... وتنبت فى أجنحة النسور
تقبل طرفة لك من خليل ... وقد يهدى الصديق الى الصديق
فان اك محسنا فلرب غر ... أصاب الفضل فى المحض اللباب
وان اك مخطئا فالفضل يؤتى ... من الخطأ المبين عن الصواب
لعلك واجد عذرا صريحا ... اذا عجز تعرض للقهقرى

ويقول فى قصيدة مزدوجة بعنوان ثورة النفس ج ٢ ص ٧٠ :

وللنفس فى بعض الأحايين ثورة ... يكاد لها جسم الفتى يتمزق
فيا نفس كم فيض لما ليس حادثا ... وحتام آمالى لديك تحرق
هياج كما هاجت قطاة تعلقت ... بأحبولة الصياد اذ ليس مهرب
فهل تحسبين نائما كل ساكن ... وهل تحسبين مينا كل هاجع
نعم ان للشلال روعا وهيبة ... ورب جلال للعواطف رائع
نعم للرياح الهوج هول وقوة ... وللبحر أمواج عليه تهيج
اغرك من هذى الطبيعة انها ... تثور فلا يقوى عليها المغلب

وتبدو هذه المحاولة غريبة أيضا ذلك لأننا قد تعودنا أن نتوقع وأن نترقب القافية وعند ما تتغير نفاجأ ويقطع علينا حبل المتعة . وتنبه الى أن الشاعر قد غير ما تعودنا عليه فنثور وفى هذه الثورة إفساد للمتعة الشعرية ، وصرف لنا عن مجاراة الشعر وفى هذا تنبيه للقوى العقلية التى يحاول الشعر جاهدا أن يخدرها .

— ٦ —

يجمل القول اذن هو ان عوامل جديدة قد نبهت الوعى القومى الى حاجات اقتصادية واجتماعية وسياسية غير التى الفها الناس فنبهته الى أحاسيس وأفكار لم يكن له بها عهد فغيرت نظرته الى الحياة ، وبتغير هذه النظرة ظهر نوع جديد من الشعر يعبر عن وجدان الانسان بما فيه من أحاسيس وتجارب ووظيفته ارضاء حاجات الانسان النفسية وقد اتخذ لنفسه لغة حديثة هي لغة الرمز ، واتخذت هذه اللغة اشكالا جديدة فى بعض الأحايين . وقد استمرت مدرسة الاسكندرية هذه محافظة على هذه التقاليد الجديدة . فليس ديوان

السحرتي أو عبد اللطيف النشار أو عثمان حلمي الا استمرار المفهوم الشعر لدى صاحب المدرسة وان كان بعضهم قد أخذ يبحث عن منابع جديدة غير الأدب الأوربي يستمد منها روحيه . وأهم هذه المنابع الجديدة هي التراث الفرعوني القديم والآداب الشرقية من يابانية وصينية وهندية وفارسية وما الى ذلك ، ودلالة هذا الاتجاه قوية اذ أن هذا الأدب الفرعوني كما يتضح في كتاب سليم حسن عن الأدب الفرعوني أدب ديني لغته رمزية ، وآداب اللغات الشرقية أيضا كما تبدو مما ترجموه عنه — آداب رمزية . وهكذا كتب على الاسكندرية أن يتصل حاضرها بماضيها فقد كتب أفلوطين فلسفته بلغة رمزية صعبت على الافهام في بعض الأحيان ، ونشطت فيها الحركات الصوفية في العصور الاسلامية المختلفة ثم كان اتجاهها الحديث اتجاها رمزيا أيضا . ولم يقبل العقد الثالث من هذا القرن الا وكان هناك تحول كبير في اتجاه الأدب . فقد نشطت مطابع الاسكندرية في اخراج دواوين الزجل . فقد ظهرت أزجال ابن مصر سنة ١٩٢٥ وأزجال أبو صلاح سنة ١٩٣٤ وأزجال أبو كمال سنة ١٩٣٥ وأزجال الخولي سنة ١٩٣٧ وأزجال مصر لميلاد واصف سنة ١٩٣٣ ووحي الوطن سنة ١٩٣٩ . وكاد أن يتلاشى نشر دواوين الشعراء اللهم الا نشر مجموعات قديمة من شعر بعض الأحياء منهم . كما بدأ ظهور كتب النقد فظهر كتاب عن الزهاوي الشاعر لأحمد ابراهيم ، وكتاب عن شعراء الطبيعة لمصطفى السحرتي .

وقوى هذا التحول بانشاء جامعة الاسكندرية ووجود قسم اللغة العربية بها لتدريس اللغة والأدب والنقد تدريسا علميا يقوم على مناهج صحيحة ، وأهم ما أنتجه القسم حتى الآن من الوجهة النقدية كتابان هما « من الوجهة النفسية » لمحمد خلف الله ، والثاني كتاب « تاريخ النقد والمذاهب الأدبية » لطه الحاجري . والكتاب الأول ذو خطر عظيم اذ أن صاحبه يحاول أن يرجع أسباب تأثرنا بالأدب الى عوامل نفسية ، ويحاول أن يتلمس أصول هذه النظرية الحديثة في كتب الأقدمين وهو مذهب قد أصبح طابع العصر في النقد في مصر جميعا ، فقد تلته دراسات نقدية كثيرة تعتمد على ما وصل اليه علم النفس من حقائق عن النفس البشرية . أما الكتاب الثاني فهو محاولة لم تتم بعد لتاريخ النقد العربي منذ العصر الجاهلي وتأثير البيئة الأدبية على معايير النقد .

وقبل أن نختم هذا البحث نسأل أنفسنا السؤال التالى : لِمَ لَمْ يستجب الجمهور المثقف استجابة قوية لهذه المدرسة الجديدة ؟ ولنضع السؤال بشكل أكثر وضوحا : لم استجاب الجمهور استجابة قوية لشعر شوقى وحافظ ولم يستجب الا استجابة خافتة لهذه المدرسة الجديدة التى نشرت أجنحتها فى مصر جميعا ؟

وأسباب ذلك كثيرة متعددة أولها هو انعزال هؤلاء الشعراء . فقد قوى الوعى القومى فى مصر من الناحية السياسية قوة عارمة بما فى هذا الوعى من شعور اسلامى وتمسك بالقديم ورغبة فى أن يكون الجديد استمرارا لهذا القديم لا قطعا له وانصرافا عنه . ففى الوقت الذى تغنى هؤلاء الشعراء فيه بروح فردى ذاتى لا يستقيم الا فى مجتمع خلا من المشاغل العامة التى تربط بين أجزائه المختلفة وتوحد بين أغراضه وأهدافه وتوفر لكل فرد أفكاره وآماله وأحاسيسه ، اتحد الناس جميعا نحو هدف قومى وهو الاستقلال وما يتطلبه هذا الاستقلال من نهضة علمية شاملة ونهضة اقتصادية تحقق للفرد عيشة رغدة مطمئنة وتحقق للمجتمع سيطرة شاملة على امكانيات بلاده . وقد استجاب من سموا بأصحاب الشعر القديم لهذا الاتجاه الجديد وكان مدحهم ورثاؤهم وشعرهم على الاطلاق فى أشخاص تصدروا لقيادة الأمة وكان كل منهم رمزا لما يتطلبه المجتمع من المستقبل ، فكان مصطفى كامل وسعد زغلول مثلا رمزا للحركة الاستقلالية السياسية ، وكان لطفى السيد رمزا للتحرير الفكرى والنهضة العلمية ، وكان طلعت حرب رمزا للحرية الاقتصادية والتحرر من تغلغل الأجانب فى مرافق البلاد . وكان طبيعيا أن يستجيب الناس لما يقال من شعر فيهم وفى الأحداث التى تمس هدفهم الأسمى ، كان شعر شوقى وحافظ شعرا جماعيا . كان الشعر الذى تطرب له القبيلة جميعا وتثور له وهو يناسب هذه الروح الثورية التى كانت تتغلغل فى أفراد الشعب وتوحد بينهم جميعا فى حين كان شعر هذه المدرسة شعر التأمل الفردى الذى يقرأه الشخص منفردا فى حجرته .

والسبب الثانى فيما نرى سبب لغوى ، فاللغة هى مادة الأديب التى يأخذ منها صوره وقد تفوق شعراء كثيرون فى تاريخ الانسانية على معاصريهم وبرزوا فى تاريخ الأدب لمجرد قدرتهم اللغوية وشعورهم الخاص بما لاتصال وحدات اللغة وهى الكلمات من نغم ومعنى ، فان هذا يقوده الى خلق تعبيرات وايقاعات جديدة شخصية تصبح سائرة بمضى الزمن . وهم بما يفعلون يجددون جوهر الشعر نفسه ولغة عصرهم وايقاع الكلام فيه . وهم يعيدون خلق الوسيلة التى يستخدمونها ويوحون لمن يأتى بعدهم ولمعاصريهم بقدرات جديدة للغة وبامكانيات جديدة للتعبير الشعرى . ويبدو هذا اذا قارنا بين شاعرين كتشوسر ولانجلاند . فمع ما للانجلاند من عاطفة ملتهبة متقدة ، واحساس دينى عميق ، وتنبه يقظ لوجود الله الخالق داخل هذا الوجود الزائل مما يفوق شعور تشوسر السطحى ، الا أن تشوسر أخلد فى تاريخ الأدب الانجليزى من زميله . فقد كان احساسه اللغوى أعمق من احساس زميله كما كان ماهرا فى صياغة قاموس لغوى واسع ، موفقا فى اختيار كلماته ، يستطيع أن يستخدم العادى منها والغريب جنبا الى جنب فاستطاع أن يجمع بين الجمال والقوة . وهذه هى الصفة التى جعلت دريدن يتفوق على بوب فى حين أنه أكثر حساسية ودقة وفهما للحياة الانسانية ، ولكنه ينقص ما لدريدن من جرأة لغوية وقوة فى استعمالها وقدرة على تنويع أنغامه بشكل يترك الايقاع حيا متدفقا متفززا داخل اطار الوزن . وبهذا — وهو ما يعرف بالخيال المسموع عند اليوت — يتفوق شيكسبير على جميع شعراء الانجليز ويضمن له خلودا أبد الدهر ، فقد حصل على لغته بقدرة على الاختراع والنحت والاشتقاق ، وجرأة لغوية لا نظير لها عند الشعراء . وهذه الصفة هى التى جعلت من المتنبى شاعرا خالدا فى تاريخ الشعر العربى والتى جعلته يخفت صوت شاعر كبير ضخم كأبى فراس . وهذا نفسه هو السبب الذى جعل شوقى شاعر العربية الأول ؛ فقد أوتى الرجل قدرة لغوية عارمة تتضاءل أمامها قدرة الشعراء المجددين وأوتى استرسالا الاهيا بحيث تنساب قصيدته من أولها الى آخرها دون أن يحس الانسان أن الرجل يتعثر فى انتقاء كلماته أو البحث عنها . وكان من حظ هذه المدرسة — التى سميت بالمدرسة القديمة ان كان على رأسها شوقى .

والسبب الثالث فيما نرى هو قلة انتاج هؤلاء الشعراء ، فلا يكفى أن يجدد المجدد ويلومنا اذا لم يستجب الناس اليه . فلابد أن يكون الشاعر الكبير غزير الانتاج ، ولابد أن يثبت لنا أنه قد نجح فى استخدام أحد الأشكال الشعرية الكبرى لكى نمتحن قدرته على الخلق والتنويع ، فلا يستطيع شاعر أن يطالبنا بمكانة عظمى فى تاريخ الأدب اذا كتب مجموعة من الشعر الغنائى فحسب . ثم عليه أن يخلق ذوقا فنيا جديدا نستطيع أن نتذوق به شعره شأنه فى ذلك شأن المغنى أو الموسيقى الجديد .

ترى ماذا يقول عبد الرحمن شكرى — ولا زال الرجل حيا يقاوم آلام الشيخوخة — فى تقديرنا لمدرسته ومدى نجاحها ، سأقولها عنه مرددا ما قال كاتب كبير عن ناقد أيضا .. ان الناقد فنان فاشل قعدت همته عن أن يحقق المثل الفنية التى كان يطمح اليها فانصرف الى النقد .. وأنا هذا الناقد .